الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي
جامعـة عبد الحميـد بن باديس ـ مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

بعنوان:

دراسة فنية لغرض الهجاء في الشعر الجاهلي
- قصيدة لا يذهب العرف للحطيئة -
- أنموذجا -

إعداد الطالبة:
- مسمة حياة

إشراف الدكتورة:
- هشماوي فتيحة

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

صدق الله العظيم

الإهـــــــداء

قد يغيب القمر وقد تغيب الشمس يوما... ولكن لن يغيب النور المتألق في قلبي ، لن تغيب معالم الحب الراسخ في فؤادي : أمي روح تتجسد في بجسد ملاك يحمل أعذب الصفات وأروعها، يا أول من بكى فرحا بي.

وأول معلم لي في الدنيا أنتي ملكتي المتوجة بتيجان سماوية لا يراها إلا أهل القلوب، فقد احترت ما أهديك فلو غلفت الدنيا كلها بغلاف جميل وقدمتها لك لكانت قليلة عليك ، وليس لي إلا أن أهديك نجاحي بعد تحياتي.

كما اهديه إلى من بقلبي جال وارتاد في النوى وحفر في ذاكرتي منذ الصبا أروع الصفات و الأخلاق إلى أبي حفظه الله ورعاه.

إلى أجمل ما في الدنيا إخوتي رعاهم الله

إلى كل زملائي و زميلاتي في الدراسة و إلى كل من ساعدنا في هذا العمل من قريب أو من بعيد في هذا العمل ولو بكلمة الطيبة.

أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها واقترن رضاها برضى الرحمن

وارتبطت طاعتها بطاعة الخالق

- إلى جدتي أمي الأولى حفظها الله وبارك في عمرها -

- والدتي حفظها الله وبارك في عمرها-

إلى من يسر لي طريق العلم وعلمني حب العمل والصبر والمثابرة

- والدي حفظه الله وبارك في عمره-

و لا أنسى أن أهديها إلى روح جدي و عمي رحمهما الله و أسكنهما فسيح جنانه.

إلى إخوتي

إلى كل الأهل والأقارب

إلى كل زملائي و زميلاتي وكل من جمعتني بهم مسيرة الدراسة.

مقدمة

إن الحمـد لله نحمـده و نسـتعينه ونسـتغفره،ونعوذ بـالله مـن شـرور أنفسـنا ومـن سـيئات أعمالنا فمن يهديه الله فلا مظل له، ومن يظ

ل فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن محمـدا عبـده ورسـوله صـلوات الله عليـه وعلـى آلـه وصـحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

يعتبـر الشـعر - مـا قبـل الإسـلام - الجـاهلي تراثـا مقدسـا بالنسـبة للعـرب الـذين عنـوا بـه وافتخـروا بنسـبه إلـيهم لمـا كـان يمثلـه مـن تصـوير حيـاتهم ورسـم حضـاراتهم، والتعبيـر عـن أفكـارهم، وذكـر مـآثرهم وإبـراز مشـاعرهم وأحاسيسـهم، وقـد كانـت العـرب تحـل أدبهـا بصـفة عامـة و الشـعر منهـا بصـفة خاصـة وكانـت القبائـل تعـرف بمالهـا مـن نتـاج أدبي. يعتز السادة بما قيل فيهم وفي أسلافهم من روائع القول وفصيح البيان.

ولقـد أطلـق علـى شـعر - مـا قبـل الإسـلام - الجـاهلي ديـوان العـرب، فكـان الشـعر بمثابـة الصـحافة،حيث كـان الشـاعر الجـاهلي صـحفي قـومي، أو وزيـر إعـلام لقبيلتـه ينقـل إلـى الآخرين كل ما يتعلق بمآثر ومفاخر قومه.

وبنـاءا علـى ذلـك أن للشـعر أغـراض، ولقـد قسـم العـرب الشـعر العربـي - مـا قبـل الإسـلام - الجـاهلي إلـى موضـوعات متعـددة ومتنوعـة ، حيـث قسـمه أبـو هـلال العسـكري فـي كتابـه الصـناعتين إلـى سـتة موضـوعات:"وهي المـديح والهجـاء والوصف،التشبيه والمراثي والاعتذار."

كمـا أن هنـاك عـدة تقسـيمات قـام بهـا كـل مـن قدامـة بـن جعفـر وابـن رشـيق القيروانـي وغيـرهم مـن النقـاد. ومـن أشـهر الأغـراض الشـعرية فـي العصـر- مـا قبـل السـلام – والتـي كانـت متداولـة بـين الشـعراء نـذكر: الوصـف، الغـزل، الرّثـاء ، والفخـر، والمـديح، والهجـاء، ولكـن لـم تهـتم الدراسـات الأولـى بالحـديث عـن الأغـراض الشـعر وموضـوعاته،ونعني بالدراسـات الأولـى تلـك الكتابـات المبكـرة التـي تناولـت الشـعر العربـي مثل:"طبقـات فحـول الشـعراء"لابن سـلام الجمحـي" والشـعر والشـعراء"لابن قتيبـة" وذلـك راجـع إلـى : أن جـل اهتمـام العلمـاء كـان بالروايـة والخبـر دون النقـد، وأيضا كان اهتمام حول الشكل الخارجي للشعر من ألفاظه وأساليب،

ومعـان وقلـت العنايـة بحقيقـة الشـعر ومضـمونه والنظـرة النقديـة فيـه. وعلـى هـذا كـــان موضـــوع بحثنـا غرضـــا مـن أغـراض الشـــعر فـي العصـــر– مـا قبـل الإسـلام – وهـو "الهجـاء" حيـث يعتبـر مـن أهـم وأشـد الأغـراض فـي ذلـك العصـر،وهو فـن مـن الفنـون الشـعرية كمـا أنـه ضـد المـدح يسـلب المـرء مـا يعتـز بـه مـن فضـيلة ، أو رميـة بمـا ينفـر مـن رذيلـة ،وهـو والمـدح مـن الصـفات الطبيعيـة مـن النفس،فالإنسـان قـد يرضـى فينطلق لسانه بالثناء والمدح وقد يسخط فتهدر طبيعته بما يوجع ويؤلم.

ولقـد عبـر عـن ذلـك أبلـغ تعبيـر الزّبرقـان بـن بـدر حـين مـدح وهجـا فـي آن واحـد قـال لرسـول اللّه – صـلى اللّه عليـه وسـلم – "رضـيت فقلـت أحسـن مـا علمـت وغضـبت فقلـت أسـوء مـا علمـت ...وكـان الهجـاء فـي الجاهليـة يسـلب الفضـائل والرمـي بضـعف الهمـة فتثور العزيمة،و تخادل المروءة كما قال الحطيئة في هجاء الزبرقان :

دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرْحَلَ لِبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فانَّكَ أَنْتَ الطَاعِمْ الكَاسِي .

فمن هنا يمكننا طرح الإشكاليات التالية :

كيـف كـان غـرض الهجـاء فـي الشـعر الجاهلي؟ومـا هـي أهـم موضـوعاته؟ وهـل تختلـف صـوّر الهجـاء حسـب كـل موضـوع؟ولكل فـن مـن فنـون أسـاليب فنيـة تغلـب عليـه،فما هـي هـذه الأسـاليب؟وكيف كـان هجـاء الحطيئـة للزبـر قـان بـن بـدر؟والى أي أسـلوب فنـي تقدم ؟

وعلـــى هـــذه اقتضـــت طبيعـــة الموضـــوع أن تكـــون منهجيتنـــا المتضـــمنة لدراســـة البحث:المقدمة،مدخل،فصـــلين نظـــري وتطبيقي،معتمـــدين فـــي ذلـــك علـــى المـــنهج التـــاريخي والاجتمـــاعي والوصـــفي تحليلي،حيـــث يشـــمل الفصـــل الأول المعنـــون ب "الهجـــاء فـــي الشـــعر الجـــاهلي"على مبحثـــين، تعرضـــنا فـــي المبحـــث الأول : معنـــى الهجـــاء ومفهومـــه فـــي الشـــعر الجـــاهلي، تعريـــف اللغـــوي والاصـــطلاحي للهجـــاء وموضوعات الهجاء الجاهلي.

أمـا فـي المبحـث الثـاني :فقـد تناولنـا صـوّر الهجـاء وأسـاليبه الفنيـة وخصـائص الهجـاء الجاهلي.

أمـا الفصـل الثـاني فيتمثـل فـي دراسـة تطبيقيـة لقصـيدة الشـاعر المخضـرم الحطيئـة، تحت عنوان لا يذهب العرف التي كانت مبنية على هجاء الحطيئة لزّبرقان بن بدر،

حيث تعرضنا في هذا الفصل الى ثلاثة مباحث والتي محتواها كالتالي :

المبحـث الأول : نبـذة عـن حيـاة الشـاعر الحطيئـة ونشـأته وإشـفاق القبائـل والأشـراف مـن هجـاء الحطيئـة وفـي المبحـث الثـاني تناولنـا فيـه الهجـاء المقـذع وعقوبتـه فـي الإسـلام وأبلغه وأروع ما قيل في هجاء الحطيئة وأسلوبه في الشعر.

أمـا المبحـث الثالث:والـذي تناولنـا فيـه قصـة الحطيئـة مـع الزّبرقـان بـن بـدر ومحاكمتـه عنـد عمـر – رضـي الله عنـه – وتحليـل الفنـي لقصـيدة الحطيئـة أمـا الخاتمـة فكانـت استنتاج لأهـم النتـائج المتوصـل إليها.وتجـدر الإشـارة إلـى أن هـذه الدراسـة مكـان لهـا أن تكتمـل فصـولها دون أن ترتكـز علـى مجموعـة مـن المصـادر والمراجـع المتنوعـة التـي تقـدم لهـا زادا معرفيـا كافيّـا، ولازم فـي جميـع جوانبهـا اللغّويـة والأدبيـة والنقديـة، تبعـا لمعطيات ومتطلبات فصول البحث فمن اللغة كان أهم المصادر :

- معجـم لسـان العـرب لابـن منظـور(ت 711ه).وفـي مجـال الهجـاء اعتمـدنا علـى المراجع التالية :
- الهجـاء الجـاهلي صـوره وأسـاليبه الفنيـة عبـاس بيـومي عجـلان وأيضـا الهجـاء والهجـاءون فـي الجاهليـة محمـد محمـد حسـين ، إضـافة إلـى مراجـع أخـرى لا تقل أهمية عن المراجع المذكورة

أمـا فـي مـا يخـص الصـعوبات التـي واجهـت البحـث تمثلـت فـي قلـة المصـادر والمراجـع النظريـة والتطبيقيـة،فيما تـوفر لدينا،إضـافة إلـى الصـعوبات أخـرى كانـت ولا بـد منهـا بالنظر إلى هدفنا المنشود المتمثل في البحث هذا الموضوع وتقديمه كما يلزم.

وقبـل أن نخـتم كلامنـا لا بـد أن نوجـه كلمـة شـكر وعرفـان إلـى الـدكتورة المشـرفة "هشماوي فتيحة" التي وجهتني وتحملت أخطائي وسعت لتصحيحها.

الطالبة :"مسمة حياة."

مـــدخـــل

❖ الشعر ـ ما قبل الإسلام ـ الجاهلي و أغراضه

- الشعر ـ ما قبل الإسلام ـ الجاهلي
- خصائص الشعر ـ ما قبل الإسلام – الجاهلي وأهم أعلامه ومصادره.
- أغراض الشعر ـ ما قبل الإسلام – الجاهلي.

العصر الجاهلي :

هو العصر ما قبل الإسلام دون أن يمتد في الزمان فقد قيده الكثير من المؤرخين بقرن ونصف أو قرنين على الأثر قبل الإسلام، يقول الجاحظ : " أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلبهل بن ربيعة...فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له، إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، و إذا استظهرنا الشعر بغاية الاستظهار فمائتي عام".[1]

والعصر الجاهلي لم يقصد به غلبة الجهل الذي هو ضد العلم بقدر ما يعني الضلال الديني، إذ لو كان كذلك فما تفسيرنا لبعض ما حققوه من مظاهر حضارية، كذلك الشعر الراقي، وألوان الاستقرار والتحضر التي ظهرت في مكة والمدينة والطائف، وذلك النشاط التجاري الواسع مع اليمن والشام والعراق. إذن فهي تعني فترة الجهل والحمق والضلال والتمزق والفساد، وهي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والترف ويشير الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم إلى ذلك في قوله :" أَلاَ لاَ يَجْهَلَكَ أَحَدٌ علينَا...فَنَجْهَلُ فَوقَ جَهل الجَاهلينَا ".

ومن خلال الآيات القرآنية التي ذكرت لفظة الجاهلية والجهل نستطيع أن نؤكد المعنى الذي قلناه ففي سورة البقرة يقول عز وجل :" قَالُوا أَتَتَّخذنا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ" (67). وفي سورة الأعراف يقول عز وجل من قائل " خُذِ العَفْو وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ" (199). ويقول تبارك وتعالى في سورة الفرقان : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً، وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً " (63).

وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم - قال لأبي ذر وقد عيّر رجلا بأمه السوداء :" إنكَ اِمْرُؤُ فِيكَ جَاهِلِيَة ".

ويتضح لنا من خلال هذا هذه النصوص أن الكلمة تدل في معناها على السفه والحمق على الجهل الذي هو ضد العلم.

[1] عبد الرزاق حسين ، في النص الجاهلي قراءة تحليلية، دار المعالم الثقافية للنشروالتوزيع، الإحسان، ط1، 1418 هـ - 1998 م ، القاهرة، ص 09-10.

نشأة الشعر- ما قبل الإسلام - الجاهلي :

لا شك في أن المراحل المبكرة التي مر بها الشعر الجاهلي في أدوار طفولته ونشأته ظلت غامضة، ولم يصلنا منه إلا تلك القصائد في صورتها الفنية التامة وقد حاول البعض تعليل هذه النشأة وتبين كيفيتها، فمنهم من قال : إن العربي قال الشعر فبدأ بالحداء في سفره أو مرعى إبله ليهون على نفسه مشاق الطريق، ومنهم من قال إنه بدأ بالسجع تم تطور إلى الرجز الذي فتح الطريق أمام أوزان وبحور أخرى، وقد خاول ابن سلام الجمحي أن يبين لنا هذه النشأة، فعقد فصلا في كتابه طبقات فحول الشعراء ، تحدث فيه عن الأوائل الشعراء وبين أسباب قول الشعر، وأن الرجل كان يقول قطعا صغيرة بين يدي حاجته أولا، ثم تحركت النفوس بالحروب والحاجات فأطالوا الشعر ونظموا القصائد ، وضرب لنا مثلا لهذه الأولية منها قول أحدهم :[1]

أوْرَدَها سَعْد وَسَعْد مشتـــــتمل مـَــا هَكَذا تورد يـــا سَعْد الإبِـــــل.

ومنها قول امرئ القيس :

عَوجاً عَلَى الطَلَلِ المُحِيل لَعَلَنَا تَبْكِي الدِيـــــاَر كَمَا بَكَى ابن حُـــدَام.

خصائص الشعر – ما قبل الإسلام - الجاهلي :

الشعر في العصر الجاهلي، هو إنتاج وجداني مطبوع، فقد استوحى الشاعر أبيات قصيدته من البيئة التي كان يعيش فيها. ومهما طالت القصيدة أو قصرت فقد جاءت تقليدا ثابتا في أوزانها وقوافيها، فهي تتألق من وحدات موسيقية، تتحد مع بعضاها لتشكل في البيت الشعري، ولهذا قالوا : " أن الشعر مرآة الحياة، وكانت البادية هي بيئة الشعر، مع نبوغ عدد من أهل المدن بالقصيدة، غير أن فحول الشعر ، من نبوغ عدد من أهل المدن بالقصيدة، غير أن فحول الشعر ، هم من أهل الوبر الذين كانوا يسكنون الخيام في بواديهم وصحاريهم، وعلى هذا الأساس نرى الخصائص الشعر تدور حول البادية وما فيها من ظلل وناقة وفرس

[1] المرجع نفسه، ص10.

وصيد ووصف لرحلاتهم وما يركبونه " ومن هذه الخصائص هناك خصائص معنوية وخصائص لفظية.[1]

أولا: الخصائص المعنوية :

1- الصدق : الشعر وثيقة يعبر بها الشاعر عن حياته وبيئته، بكل ما فيها وبجميع ألوانها، وما يختلج في نفسه دون تكلف، فهو يتحدث بما يشعر هو، فقد وصف المعارك و اعترف بالهزيمة أحيانا أو بفراره و يعترف بقوة خصمه ويصف شجاعتهم ولهم في ذلك قصائد تلقب بالمصنفات، وهذا يدل على أن الشاعر ، يستقي أخيلته من عالمه المحسوس، يدقق النظر، ويفضل الحديث لأنه يريد أن ينقل الحدث إلى قصيدته بكل دقائقه

2- النزعة الوجدانية : الشاعر مطبوع في شعره على النزعة الوحدانية، يصف نفسه وشعوره، حتى عندما يمدح أو يرثي أو يقول الحكمة لأن بساطته وطبعه مطبوع على الصراحة، فلا يتلعثم ولا يتطرق، من أجل ذلك لقد فضل النقاد شعر البداوة على الشعر الحضري، لما عند البدوي من عفوية في النظم ، ويسر الحياة، وبعده عن التعقيد.

3- البساطة : الحياة البدوية حياة فطرية ، تسودها البساطة، فلا تكلف ولا تخريج ولا تعليل، والشاعر في العصر الجاهلي لا يحتاج إلى التكلف، وهذا ما تراه عند الكثير من الشعراء هذا العصر، شعر عنترة يخاطب عبلة :

ولَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّماح نَـــــواهِل مِنِي وبَيْضَ الهِنــْدُ تَقْطَرُ من دَمــي.

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المبتسم.

4- الشمولية في التعداد : لقد مال الشعراء في هذا العصر إلى استجماع القول، حتى جمع البيت الواحد معاني كثيرة، وقد أعجب النقاد يقول امرؤ القيس :

قِفَا نَبكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسَقْطِ اللّوى بَيْن دُخُــولٍ فَحَومَــلِ.

قال النقاد : إنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.[2]

[1] يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب العصر الجاهلي، ط1، 2006، ص16.
[2] المرجع نفسه ص 17.

5- الإستطراد : لقد أحب النقاد في الشاعر الجاهلي طول نفسه، مما أدى إلى إطالة قصيدته فينتقل من موضوع إلى موضوع آخر،بمعنى انه يستطرد ولا يلبث أن يعود إلى غرضه، أو قد يتحول وينهي قصيدته بما يحب.

6-الخيال: اتسع خيال الشاعر في العصر الجاهلي باتساع أفق الصحراء التي كان يعيش فيها، وقد اعتمد الخيال في الجاهلية على التشبيهات والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور، وهذا كان أيضا عند الشاعر في الحضر وربما فاق في خياله مثيله في البادية كلأعشى وامرؤ القيس النابغة حين جنجوا بخيالهم في وصف للبرق والمطر.

ثانيا : الخصائص اللفظية :

1- غرابة الألفاظ وجزالتها : كلمة الجزلة : تعني الكلمة الفخمة التي تقع موقعها من الإستعمال، والصيغة في الشعر، صيغة موسيقية، والشاعر كان يستخدم الألفاظ من بيئته. ونحن الآن نستغرب هذه الألفاظ لانقطاع الصلة بيننا وبين وهؤلاء الشعراء، لكن هذه الكلمة مأنوسة له مألوفة في حياته ومعاشه، فما جاء على لسانه فإنه يتعلق بخيمته وناقته وفرسه وأدواته، وما أجمل وصف طرف لناقته في معلقته.

2- متانة التركيب : من أهم ما يلفت النظر في الشعر الجاهلي، أنه كامل الصياغة، فالتراكيب التامة والعبارة مستوفاة، والتركيب متين يجري على قواعد اللغة، ليس فيه عيب في التأخير والتقديم، فلا زيادة فيه دون فائدة، ولا حذف بغير سبب و تراكيبه بليغة، سواء كانت حقيقة أو مجازية.

3- العناية والتنقيح : كان الشاعر الجاهلي يجري في شعره على طبيعته الفطرية وعلى سجيته، فهو لم يتكلف نظمه، وإنما يلقيه كما يفطر له، ويدور في خياله، وكان الشاعر ينقح شعره ويهذبه ويصفي جهده لإثبات براعته فكان منهم من يخرج قصيدته في حول كامل.[1]

[1] يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب العصر الجاهلي ص 18.

الفنون الشعرية :

لم تهتم الدراسات الأولى بالحديث عن أعراض الشعر وموضوعاته، ونعني بالدراسات الأولى تلك الكتابات المبكرة التي تناولت الشعر ، مثل " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي و" الشعر والشعراء " لإبن قتيبة وغيرهما، ولم نلق الاهتمام بذلك، وربما يرجع هذا في ظننا إلى الأسباب التالية :[1]

أولا : أن جل الكتابات دارت حول الشعر باعتباره نصا، وقامت بتسجيله وذكر أصباحه، وطرف من أخبارهم، وعلى ذلك قام الكتاب ابن سلام الجمحي وابن قتيبة، وهذا ما يفيد الانتقال من مرحلة الرواية الشفهية إلى دور التسجيل والحفظ، ومن هنا اهتم العلماء بالرواية والخبر، دون النقد الخالص، وأن كان في اختبار نقد.

ثانيا : نركز الاهتمام حول الشكل الخارجي للشعر من ألفاظ و أساليب ومعان وقلت العناية بحقيقة الشعر، ومضمونه، والنظرة النقدية فيه وترتب على هذا أن قسم ابن قتيبة الشعر بعد أن تدبره إلى أربعة أصناف :

- ضرب حسن لفظه وجاد معناه.
- ضرب حسن لفظه، فإن أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.
- ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه.
- ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه.

وهذه الأغراض التي قسمها ابن قتيبة الشعر تصلح لكل غرض، وتتناول الشعر من حيث العلاقة بين اللفظ و المعنى، ولم تعالج قضية موضوعات الشعر و أغراضه.[2]

[1] عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره و أساليبه الفنية، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشروالتوزيع تليفون 3976 الاسكندرية، ط-غ، ص105.
[2] المرجع نفسه ، ص110.

أغراض الشعر – ما قبل الإسلام - الجاهلي:

بقي الشعر الجاهلي أسير نزعات ورغبات و أهوان الإنسان في العصر الجاهلي، حيث كان يمثل نفسية هذا الإنسان وما يعالجها من عواطف وأحاسيس، ولذلك أطلق عليه مصطلح الغنائية والوجدانية لأنه رافق المغنين والمنشدين، ولم يستقل عن الغناء، إلى مع البداية.[1]

ولقد أطلق على الشعر الجاهلي ديوان العرب، لأنه يمثل حياتهم ويصور مآثرهم أدق التصوير، فكان الشعر بمثابة صحافة اليوم، حيث كان الشاعر الجاهلي صحفي قومي، أو وزير الإعلام لقبيلته ينقل إلى الآخرين كل ما يتعلق بمفاخر القوم.

لقد قسم العرب الشعر العربي الجاهلي إلى موضوعات متعددة ومتنوعة ومن أهمهم **أبا تمام** حيث قسمه إلى عشرة موضوعات وهي : **الحماسة، المراثي والأدب، النسب والهجاء والأضياف، والمديح والصفات وسير،النعاس والملح وهما المسيب،** وهذه الموضوعات التي ذكرها هي متداخلة ببعضها البعض، وجعلها **أبو هلال العسكري** في كتابه **الصناعتين** إلى ستة موضوعات وهي :" المديح والهجاء، والوصف، والتشبيه، والمراثي والاعتذار"**.**

هناك عدة تقسيمات عديدة قام بها كل من قدامة بن جعفر، وابن رشيق القيرواني، ولكن الآن سنعرض فيما يلي الموضوعات المشهورة والتي كانت متداولة بين الشعراء في ذلك العصر:

أ/الوصف:

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم:

فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره ، فيصفها وصفا دقيقا، وهو يمر الصحراء الواسعة فيصورها تصويرا بارعا، فيصف حرارتها وما فيها من سراب خاضع ويصف برودتها في الشتاء، ويركب فرسه في النزهة فيصفه، وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس و إعداده للصيد و في هذا يقول :

ابن رشيق " الشعر إلا أقله راجع إلى الوصف ولا سبيل إلا حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به".[2]

[1] عبد العزيز النبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار، القاهرة ط3 ، 2004، ص 69-70.

[2] ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، ج2، ص 294.

وقد صور الشعراء أيضا المعارك التي تحدث بين كلاب الصيد والثيران، ووصف الليل في طوله ونجومه يقول امرؤ القيس يصف الفرس :

وَقَد أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فـــــي وَكنَاتِهَـــــا بِمُنْجَرَدِ قَيْـــــــــدَ الأَوَابِـــــدِ هَيكَـلِ
مِكِـــــر مِفِـــرٌ مُقْـــبِل مُدْبِـــر مَعَـــــا كَجُلْـــمُودِ صَخْر حَطّـــةُ السَيْلُ منْ عَـلِ
كُمِيتُ يُزَلُ البَدَ عَـــنْ حَـــــالٍ مَتْنَـــهِ كَمَـــــــا زَلَتِ الصَـــفْوَاءُ بِالمُـــتَنَزّلِ

فغرض الوصف في العصر الجاهلي غرضا غير مقصودا لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة لتوصل الشاعر إلى غرضه الرئيسي.

ب/ الغزل :

لقد لقي الغزل عناية كبيرة من جميع الأدباء في كل العصور وعلى وجه النصوص عند الشعراء، فهم أولى به من غيره فقد صبوا فيه عواطفهم وسجلوا خواطرهم وغنوا مآثرهم ومغامراتهم، فهو أيضا التحدث عن النساء، ووصف ما يجده الشاعر حيالهم من صبابة وشوق و هيام، وقد طفى هذا العرض على الشعراء فأصبحوا يصدرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه لقول الشعر، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر.وإذا تتبعنا الغزل الجيد المؤثر في النفس وجدناه ناتج عن التذكر واسترجاع المواقف الماضية سواء كان في صدر القصيدة أو الغزل مقصودا لذاته.[1]

ويمكن تقسيم الغزل إلى اتجاهين متناقضين وهما الماجن والعفيف، فالماجن هو الغزل المادي الجسدي الفاحش، يتلظى الشهوة ولا تقيم وزنا للأخلاق و المواصفات الاجتماعية و أصحابه ينشدون الملاذ والشهوات، فهم مغرمون بصفات الجسمانية البارزة في المرأة ويمثل هذا الإتجاه :

امرؤ القيس والأعشى وعمرو بن كلثوم.

أما النوع الثاني فهو الغزل العفيف أو النسب فهو غزل روحي شريف، يبتعد صاحبه عن ا[2]لتعابير المكشوفة والألفاظ الفاضحة، وهو في مجمله يتلاءم مع الحياة البدوي، ويمثل هذا الإتجاه: **عنترة بن شداد والمرقش الأكبر وقيس بن حدادية** وغيرهم.

[1] مصطفى السيوفي، الأدب في العصر الجاهلي، دار الدولية القاهرة، ط1، 2008، ص 93.

يعرف قدامة بن جعفر الغزل بنوعيه : " إن النسب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن وقد يذهب على القوم أيضا موضع الفرق بين النسب والغزل، والفرق بينهما أن الغزل المعنى الذي اعتقده الانسان في الصورة إلى النساء نسب بهم من أجله فكان النسب ذكر الغزل، والغزل معنى نفسه، و الغزل إنما هو التصابي و الإستهثار بمودات النساء"[1].

وفي النوع الأول من الغزل يقول امرئ القيس:[2]

مُهَفْهَفَةٌ بيضـــــــــاء غَيْرُ مُفَاضـــــــةَ تَـــــرَائِبَـــــهُا كَـــالسَجَنْـــجَـــــلِ
وَجِيدٍ كَجِـــــــيد الَرِئْـــمِ لَيْسَ بِفَـاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصّـــــتْه وَلاَ بِمُعَطّـــــــــلِ
وَفَرْعٍ يَزيـــــــن المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِـــمٍ أَثَيْثٍ كَقِنْوِ النّخْـــــــــلَةِ المُتَعَثْكِـــــلِ

وفي النوع الثاني من الغزل العفيف نأخذ من أشعار عنترة بن شداد:[3]

لا تصـــــــرميني يا عـبيل وراجـــــعي وفـــــي البصـــيرة نـــظرة المـــــتأمل
فلـــــرب أمـــــــــلح منك ذلا فاعلـــمي وأقر فـــــي الـــدنيا لعين المـــجتلـي
وصـــــلت حـــب لي بالذي أنا أهـــــله مـــــن ودهـــا وأنا رخي المـــــطول

ج/ الفخر والحماسة :

الفخر هو الاعتذار بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته، وبالفعال الطيبة و السجايا النفسية و الصفات القومية، كما كانوا يفتخرون بالشجاعة إقدام النجدة والإغاثة الملهوفة، وحماية الجار وغيرها.

اما الحماسة تدخل في الفخر لكن ليس كل فخر حماسة، فهي وصف المعارك وفخر بالنفس و بالأسلاف، وهي أيضا تعني بالصفات التي تدل على الشجاعة والقوة. ووصف ما يدور في الحرب ودعوة الأخذ بالثأر.

---

[1] قدامة بن جعفر، نقد الشعر،تح: عبد المنعم الحفاجي، دارالكتب العلمية ، بيروت، ط1978،1،ص134.
[2] ديوان امرئ القيس، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت ط5، 2004 ص115.
[3] ديوان عنترة بن شداد، تحقيق، خليل الخوري المكتبة الجامعية، بيروت ط4، 1993، ص69.

يقول صاحب العمدة في الفخر :"ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه و يمدحها في غير منافرة، إلا أن يكون شاعرا فإن ذلك جائز له في الشعر غير مغيب عليه"

إِذَا القَــوم قَالُوا مِنَ فَتَى خِلْــــتُ أَنّنِــي عَنَيــْتُ فَــلَم أَكْســــــل ولم أتبــلد
وَلَسْتُ بحَــــلال التــــلاع مَخَــــافــــة وَلَكِــــن مَتَــــى يَسْتَرْفِــــد القَوْم أَرْفد

ومن أهم شعراء الفخر نجد هناك **عنترة بن شداد، امرئ القيس،و طرفة بن العبد.**
يقول طرفة بن العبد مفتخرا بنفسه:[1]
أما الحماسة فيقول ابن رشيق في كتابه العمدة : " مادام هذا الضرب من الشعر بصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقدم عليها حياة العرب في الصحراء كان لابد أن يكون مع الغزل في مقدمة الفنون انتشارا وأقرب إلى النفس العربي"[2].

د/ الرثاء :

هو إظهار الحزن والأسى والحرقة، وهو يتلون بألوان مختلفة تبعا لطبيعة والمزاج والمواقف، ورثاء الخنساء يعتبر من الرثاء، المؤثر في النفوس، وكانت تشهد عكاظا وتدور في السوق وهي في هودج على جمل وقد وضعت علامة على هودجها ثم تقوم بإنشاد الشعر فتؤثر في من تمر به. ومن أهم الرثائيين هناك: **المهلهل، الخنساء،ودريد بن الصمة**...وغيرهم.

تقول الخنساء في رثاء أخيها الصخر:[3]

يَا عَين جُــــــــودِي بِدَمْــــــعَ مِنْــكِ تَهْمَــالِ وَعِبْرَة بِنَحِــيبٍ بَـعْدَ أغْــــوَالِ
لاَ تَسْأَمِــــي تَجُــــودِي غَيْرَ خَــــاذِلَةٍ فَيْضًا كَفَــــيْضٍ غُرُوبْ ذَاتَ أَوَشَــــالِ

فرثاء إذا غلب عليه البكاء على الميت، وبت اللوعة والحزن كان ندبا، وإذا غلب عليه التأمل في حقيقة الموت والحياة كان عزاء، وقد يجتمع الندب والتأبين والعزاء في قصيدة واحدة.

[1] المرجع السابق، ص101.
[2] ديوان طرفة بن عبد، تحقيق: الأعلم الشتنمري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط2، 2002 ص41-42.
[3] ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2009 ص92.

هـ/ المدح :

يعتبر عرض المدح من أهم الأعراض التي قال فيها شعراء الجاهلية شعرهم ذلك الإعجاب بممدوح والرغبة في العطاء تدفعان الشاعر إلى إتقان هذا الفن من القول فهو من فنون الشعر الغنائي، يسعى الشاعر فيه إلى قول الشعر الجيد الذي يتضمن الشكر والثناء، وقد يكون المديح وسيلة لكسب، والصفات التي يمدح بها الممدوح هي: الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، ومعظم شعراء الجاهلية قالوا شعرا في هذا الغرض، فهم يمدحون الملوك المناذرة أو الملوك الغساسنة ويأخذون عطاءهم وجوائزهم، وفي هذا يقول مصطفى السيوفي : " لقد شاع المد وكثر بعد تبذل الشعراء واتخاذه للارتزاق ومهنة التكسب ".[1]

وأعلام المديح في هذا العصر، زهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت والنابغة والحطيئة... يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان :[2]

فَإِنَّكَ شَـــمْسٌ وَالمـــُلُوكُ كَـــوَاكِبَ إِذَا طَلَـــعْتَ لَمْ يَـــبْدُ مِنْـــهُنَ كَوْكَـبُ

أَلَـــمْ تَرَ أَنَّ الله أَعْطَـــاكَ صُـــورَةً تَـــرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَـــهَا يَتَـــدَبْدَبُ

و/ الهجاء :

الهجاء أو الهجو، هو عرض من أغراض الشعر هدف الشاعر من تجريد المهجو من المثل، العليا التي تتحلى بها القبيلة، فيجرد المهجو من الشجاعة فيجعله جبانا، ومن الكرم فيجعله بخيلا، ويلحق به كل صفة ذميمة حيث يسعى الشاعر أن يجعل مهجو من الشجاعة فيجعله جبانا، ومن الكرم فيجعله بخيلاً ذليلا بسبب هجائه، وهذا ما جعل كرام القوم يخافون من الهجاء فيدفعون الأموال طائلة للشعراء إتقان لشرهم. ومن أبرز الهجائيين : **الحطيئة، الأعشى، وزهير ابي سلمى**...يقول الحطيئة في هجاء أمه :

جَزَاكَ الله شَـــرًّا مِن عَجُـــوزٍ وَلَقَاكَ العُقُـــوقَ مِنَ البُنْيَـــنَا

تَنَحَّـــيْ فَاجْلِسْـــي مِـــنَا بَعِيـــدًا أَرَاحَ الله مـــِنْكِ العَـــالَمِيـــنَا[3]

[1] ديوان الحطيئة، شرح : ابن سكيت، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1993 ص186-187.
[2] ديوان النابغة الذبياني، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت ط 3، 1996، ص28.
[3] الحطيئة، شرح : ابن سكيت، ص 187.

الفصل الأول

❖ الهجاء في الشعر ـ ما قبل الإسلام – الجاهلي

✓ تمهيد

✓ المبحث الأول

- معنى الهجاء ومفهومه في الشعر – ما قبل الإسلام – الجاهلي.
- تعريف لغوي و اصطلاحي للهجاء.
- موضوعات الهجاء الجاهلي.

✓ المبحث الثاني

- صور الهجاء.
- أساليب الفنية للهجاء.
- خصائص الهجاء الجاهلي.

تمهيد:

يعتبر الهجاء نقد الحياة، فهو يأخذ مادته من الواقع و لا يستمدها من الخيال أو التفكير، ولذلك كانت أبرز صفاته الواقعية البعيدة عن الإسراف في الصناعة والتي تقوم على تجارب الحياة ودقة الملاحظة لما يجري فيها من أحداث.

والواقعية في الهجاء تستند في كثير من الأحيان إلى دقة الملاحظة، التي تجعل أجزاء الموضوع واضحة.

وتعين الشاعر على اختبار الصور اللاذعة التي تؤدي خصمه ، وتجعله أضحوكة بين الناس.

والواقع أن التعمق في الخيال، والإسراف في الصناعة الشعرية، وفي تكلف الجزالة وسمع العبارة، يضعف الهجاء ويفقده قيمته، لأنه يباعد بينه وبين الواقع، ولذلك كان أصحاب الصنعة من الشعراء أقل الناس توفقا وإصابة في هذا الفن، فإذا قرأنا هذا الفن الشعري نجده يقف عند صفات مذمومة كالغدر وعدم الوفاء والجبن، والبخل، والشجاعة الكاذبة، والفرار من المعركة، وعدم حماية الجار ورعايته،وسوء الخلق وسوء المنظر، والهزيمة في المعركة.

ومن أسباب انتشار الهجاء طبيعة الحياة الاجتماعية في الجاهلية بما فيها من تباغض وتحاسد.

ويقول الزمحشري في أساس البلاغة:" وهو هجاء فلان على مقداره في طول و الشكل".[1]

-وبالتالي فقد تناولنا في هذا الفصل بعنوان الهجاء في الشعر الجاهلي، متكون من مبحثين

ولكل مبحث محتواه : المبحث الأول: معنى الهجاء ومفهومه في الشعر الجاهلي، تعريف لغوي و اصطلاحي للهجاء، موضوعات الهجاء الجاهلي.

ـ المبحث الثاني : صور الهجاء، أساليب الفنية للهجاء، خصائص الهجاء الجاهلي.

[1] أساس البلاغة لزمخشري،ج 2، دار الكتب القاهرة، 1923 م ،ص535.

ـ معنى الهجاء ومفهومه في الشعر الجاهلي:

ـ مر معنى الهجاء بمعان كثيرة تطور خلالها من المدلول الحسي، ونما حتى غذا بالمصطلح الفني المعهود، وسنحاول أن نتلمس تطور الهجاء وأن كان ذلك أمرا بالغ الصعوبة وعسيرا حين نحدد ملامحه .

أولا :

- المعنى الحسي: فالهجاء (الضفدع) ذلك الحيوان البرمائي الزرى الشكل المنفر من حيث هيئته وصوته، وقفزه.[1]

ثانيا :

- انتقلت الدلالة من هذا الحيوان إلى ملاحظة الشكل و الأثر، فإذا رميت إنسانا ببعض صفات الحيوان فقد عقدت شبها بينهما ، قال ابن سيده:" هذا على هجاء هذا" أي على شكله وقدره، ومثاله وهو منه، ويقول الزمخشري في أساس البلاغة:" وهو هجاء فلان على مقداره في الطول و الشكل". [2]

ثالثا :

- تطورت الدلالة فاتخذت جانبا معنويا، وإن ظلت على علاقتها المادية مرعة، فإذا أصاب الإنسان جانب من العطش أو الجوع، ثم شرب أغو أكل فقد أذهب، ما نجده، فتسكين هذا الشعور المصاحب لتلك الظاهرة تسمى بالهجاء.

رابعا:

- انتقلت الدلالة إلى طور جديد ملاحظة فيه الأثر النفسي و الاجتماعي للمهجو، فالهجاء هنا بمعنى التفصيل و التقطيع، لأن الشاعر إذا هجا خصمه، فقد بدد ما يتدثر به من خلق اجتماعي. و أزال ما يستره من عيوب.[3]

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، المجلد 15، ص 353.
[2] أساس البلاغة لزمخشري،ج 2، دار الكتب القاهرة، ط غ ، 1923 م ،ص 535.
[3] قاموس المحيط، للفيروز بادي، بيروت، ط1،ص 216.

خامسا:

- بدأ يستقل الهجاء بمعنى محدد حين قصر على ذكر المثالب و كشف العورات و الوقوف على خفى من عيوب الناس، ولا سيما السادة والإشراف، ولذا فيطلق الهجاء على كل قول فيه كشف عن المساوئ الإنسان، وذكر ما يهجه، ومن هنا أطلق على المرأة حين تدم عشرة زوجها أنها هاجية، و المرأة تهجو زوجها: أي تذم صحبته، فالشاعر حين يعدد مثالب خصمه ويكشف عن دخيلته فقد هجاه.[1]

سادسا:

انتقل المعنى وتطور إلى معنى له أثر في حياة العرب خاصة، فالعربي ينشر ما يجب أن يلهج الناس به، ويكتم ما يكره أن يعرف عنه، وهذا من شأن الإنسان أني كان، فإذا أماط الشاعر اللتام عن هذا النفاق الاجتماعي وعرف ذلك المتخلق يغير شمائله فقد كشفه، وأذهب عنه زهوه وكبره وذلك مأخوذ من أصل مادي عند العرب ، فهم يقولون: هجى البيت بمعنى انكشف، وهجيت عن البعير غارت، وهذا يعطي بعد الشعر الهجاء، فهو الكاشف عن ضمير الناس، والنور الذي يوجه إلى دروب غرض أخر من أغراض الشعر العربي.[2]

سابعا:

- انتقل الهجاء إلى معنى القراءة و المعرفة، والقول: ومن ذلك حروف الهجاء وفلان يتهجى، فالهجاء القراءة كما يقولون، سئل رجل، من بني قيس ابن ثعلبة:" أتقرأ من القرآن شيئا؟" فقال : والله ما أهجوا منه حرفا، يريد ما أقرأ منه حرفا".
وكذلك رويت قصيدة:" فما أهجو اليوم منها بيتين: أي ما أروع".[3]

[1] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره و أساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة إسكندرية،1985م ، ص 126.
[2] المرجع نفسه ،ص 127.
[3] المرجع نفسه ، ص 128.

ـ **تعريف لغوي :** " الهجاء : خلاف المدح، يقال هجوته هجوا وهجاء وتهجاء، قال الشاعر:

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي وهجاه هجوا وهجاء، شتمه بالشعر، وعدد فيه معائبه. قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار. وأنشد القالي:

وكل جراحة توسى فتبرا ... ولا يبرا إذا جرح الهجاء وفي الحديث «اللهم إن فلانا هجاني فاهجه، اللهم مكان ما هجاني» أي جازه على هجائه إياي جزاء هجائه، وهذا كقوله عز وجل "وَجَزَاءُ سَيِّئَة سَيِّئَة مِثْلُهَا" (الشورى/ 40) وفي حديث آخر «اللهم إن عمرو بن العاص هجاني «1» ، وهو يعلم أني لست بشاعر، فاهجه، اللهم والعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني» أي جازه على الهجاء.

ويقال: هجا فلان فلانا: شتمه وسبه وعابه، والمرأة تهجو زوجها، أي تذمه وتشكو صحبته، ويقال: بينهم أهجوة وأهجية يتهاجون بها، وهاجيت فلانا: هجوته وهجاني.

ـ **تعريف اصطلاحي** :" الهجاء أو الهجو، هو غرض من أغراض الشعر، يقوم على تقبيح صورة فرد أو جماعة، أو عادة من العادات أو مظهر من مظاهر الحياة و الوجود، وهو تعبير عن احتقار الشاعر للمهجو، والرغبة في الحظ من شأنه، والهزء به، ومسخه ما أمكن إلى ذلك سبيلا".[1]

موضوعات الهجاء:

يقول الجاحظ:" الشعراء يهجون بكل شيء، ويهجون كل شيء".[2]

فالهجاء كان الغاية من شعرهم، ومجال التفوق، ومصدر الإخافة والسلطان المهيمن على المجتمع الجاهلي، ومن هنا قد شمل النشاط العربي أنداك تقريب وتقلب ما بين هجاء شخصي يتلمس العيوب الظاهرة. ويكشف عن العورات الخافية من الأخلاق والعادات، إلى الهجاء القبلي وما فيه من تعميم للسوء ، وانطلاق للمكروه حتى يغشى المسئ و البرئ، ويشمل الصالح والطالح.

[1] إميل ناصيف،أروع ما قيل في الهجاء، دار الجيل بيروت،ط1، 1423 ه -1992 م.

[2] الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون،ج 1، ص 352.

- ومن أنواع الهجاء في الجاهلية وهي على النحو التالي :

أولا: الهجاء الشخصي.

ثانيا: الهجاء القبلي.

ثالثا: الهجاء السياسي.

رابعا: الهجاء الديني.

ومن هذا التقسيم مستمد من الدراسات الموضوعية للشعر الجاهلي.

- الهجاء الشخصي (الفردي):

الهجاء الشخصي كان نتيجة المنازعات الفردية والخلافات التي لا بد أن تنشأ من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم، في بيئة تقوم على القتال والنزاع في سبيل الحياة. ويميل النقاد إلى الغض من قيمة هذا الفن في جملته ، واعتباره أحط أنواع الهجاء.

وربما لم يكن ذلك صحيحا على إطلاقه. فقد استطاع كثيرا من الهجائين المتأخرين في الأدب العربي، أن يقتنوا في الهجاء الشخصي، ويبلغوا به درجة ممتازة. و لكنا نلاحظ أن هذا الفن في معظمه كان متخلفا عند الجاهليين على كثرة ما أنتج الشعراء فيه.

فقد غلبت عليه العجلة التي أبعدته عن الروية و الجهد الذي يبدله الفنان في فنه.

فكان تصويرا سريعا حارا لعاطفة الغضب، وكان لذلك صورة خشنة ، يقوم هذا الهجاء على تجريد المهجو من الفضائل التي يعتمد بها الجاهلي كالكرم و الشجاعة وإغاثة الملهوف

وذلك إثر أذية وجهها المهجو إلى الشاعر، فعمد الشاعر إلى تحقيره ، وسلب كل فضيلة منه.[1]

[1] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت،ط3 1970/1389، ص115.

ربما كان لهذا الشعر قيمته الكبيرة عند مؤرخي الأدب، لما فيه من تصوير للقيم الأخلاقية والاجتماعية في ذلك العصر ولكنه مع ذلك قليل العناء عند طالبي اللذة الفنية، لا يجدون فيه ما ينشدون من متعة ، فالمشاركة في الشعور بين القارئ و الشاعر ضعيفة أو مفقودة. وهي من أكبر العناصر تقوم عليها المتعة الفنية، ثم هو بعد ذلك صورة مضطربة هائجة غير مهذبة للغضب، قليل الحظ من الخيال ، فقير في الصورة ، محدود المعاني.[1]

فالهجاء هنا سجل ساذج لمعركة بين فردين يتشاتمان، ترى فيه ألوان العنف الذي يصحب مثل هذه الظاهرة، فيه الاستعلاء على الخصم بكل شيء بالمال و بالأهل و الحسب، وفيه السباب – المقذع في كثير من الأحيان، والذي يتعرض لأغلظ العورات دون احتشام، وفيه التعبير و التهديد ، وأكثر ما نجد فيه فخر كثير وتهويل بالقدرة على البطش بالسيف، وبالشعر الذي يبقى ميسمه، ويجري على كل لسان، وحيثما قرأنا لم نجد إلا إعادة وتكرارا لهذه المعاني، لا يخرج الشعر عنها ولا يتجاوزها .[2]

-يقول الحطيئة في هجائه لأمه: [3]

جَزاكَ الله شرا مِن عجوز ولقاكَ العقوقُ من البَنِيْنا

تنحيْ فَاجلسيْ منا بعيدًا أزاخ الله مِنْك العالمينا

وأيضا يقول مزرد بن ضرار الذبياني (أخو الشماخ):

يَهزون عرضِي بالمغيب ودونِه لقرمهم مندوحة و مأكل

عَلى حِيْن أن جربت واشتدجا وأنلج منى رهبة من أنَاضِل

[1] المرجع السابق ،ص116.
[2] المرجع نفسه، ص116.
[3] يحي الشامي، أروع ما قيل في الهجاء، دار العزه و الكرامة للكتاب، ط1، 2014 م -1435هـ، ص 15.

الهجاء القبلي:

ربما كان الهجاء القبلي هو مجالات القول لدى الشاعر في الهجاء، لأنه يتفق وروح الهجاء، فالسيد إذا هجى لم يشف هجاؤه صدور الشانئين لأنه فرد لا يغنى غناء القوم ، ولا سيما و المجتمع الجاهلي قابل للانقسام. وعر الانفصال أشد ارتباطا به من عوامل الاتصال.

فرب قائل يزعم أن هذا المهجو ليس منهم ، وأنهم براء منه. فلم تعلق به شية، ولم تلحق به هجنه.

وقد لاحظنا أن شعر الهجاء يجنح إلى التعميم، ويميل إلى الإطلاق، وهذا الأسلوب يصادف نجاحا في الهجاء القبلي إذ لم يرم الشاعر شخصا معينا، وإنما يرسل القول إرسالا ، ويطلقه في وجه القوم غفلا من الخصائص المميزة.

وهناك ناحية فنية تجعل الشاعر حر التصرف حين يتسع أمامه المجال القول سعة القوم، ولا يضيق به ضيقه حين يتصرف القول حول شخص معين محدود العيوب و إن كثرت، قليل مقابح وان تعددت. وطبيعة الحياة العربية قبل الإسلام – وبعد- تساعد على الهجاء القبلي إذا كل قبيلة تقوم مقام الكيان السياسي المستقل، والهجاء درب من الحماية ، ونمط من إظهار القوة ، ووسيلة من وسائل الدعاية و الإرهاب.[1]

ومن الممكن أن نحمل أسباب الهجاء القبلي في هذه النقاط :

1- العداوة: فإذا تعادت القبائل، ووقع بينها القتال، فكان الشعر الهجائي دوره، فنال من زعماء الأعداء ورد على دعواهم وأشاد بأبطاله، وخوف من قبيلة، وسوف نرى أن شعر الهجاء في مثل هده المواقف يقترب من شعر الحماسة والفخر، ويتخذ الهجاء شكل المعركة.[2]

2-الحسد: الحسد هو سبب من أسباب الهجاء القبلي، كان تحسد قبيلة أخرى لكثرة عددها، ووفرة فرسانها، ورخاء عيشها، وهذا الأمر مقرر، وقد يكون بين أبناء قبيلة واحدة، كالأخوة

[1] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، 1985، ص 183.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و أدبه ونقده، ج 2 ، ص 170.

حين يشرف واحد منهم فتكون رفعته ذلة لهم، وسموقه انكسارا وصنعة عندهم فيحسدونه لذلك.

يقول الجاحظ :" وحسد الأقارب أشد وعنوانهم على قدر حسدهم"[1]

ومن هنا ألفينا الهجاء قد يتجه إلى داخل القبيلة، وهو عادة يكون عند تفاوت المنزلة، وتباين الحال، فالعربي حين يرى أخاه قد نما ماله، وكثرت ذرارية، يضيف صدره، إذ يرى في ذلك خطر على كيانه، لأنه سوف يغدو تابعا، وظفر أخوه بالسيادة والعزة، فينشأ الحسد وتنقطع أواصر العشيرة، ويجد الهجاء بيئة خصبة ينمو فيها ، وللجاحظ كلمة تعبر عن هذا وهي مأخوذة من الواقع العربي، وتعبر عن اعتقادهم...." ومن شؤم الإخوة أن شرفهم صبغة أخوتهم"

يقول الحطيئة في هجاء قومه:

أَلاَ مِنَ لقلب عَارم النَظَراتِ يَقْطَع طُولَ الليل بالزَفراتِ

إدا مَا الثريا أخِر الليل أعنقتْ كَواكِبها كالجَزع مُنحدرات

هُنالك لاَ أخْشى مقالة كاشج إذا نبد العُراب بالحَجَرات

لعمري لَقد جَربتكم فوجدتكم قباح الوجوهِ سيئُ العذارات[2]

-ويأخذ الهجاء القبلي هنا سمة السخرية ، ويميل إلى التركيز إلى العيوب فهو أشد خطوة وأكثر أهمية، لأنه يهم القبيلة بأسرها، فكثيرا ما سحر الشاعر من العدو وجراء هزيمتهم في المعركة.[3]

ـهجاء السياسي:

قليل في الشعر الجاهلي لأن العرب لم يهتموا به الاهتمام الواجب، نظرا لطبيعة حياتهم ووجودهم ، ثم لأن جل الشعراء و الشعر كان في نجد و الحجاز وهذا لا يرتبطان بأطراف

[1] الديوان للجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، ج 2، ص 94.
[2] ديوان الحطيئة، شرح: ابن سكيت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993،ص112
[3] مندر ديب كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية ، دط، جامعة الإسراء الخاصة ، الأردن، 2006، ص 155

الجزيرة و أهلها لا يعرفون الشعر السياسي عادة إذا لا يعرفه إلا من ارتبط بأمير أو سافر إلى مارات المتاخمة للجزيرة ، وهذه نماذج فردية لا تكون في مجموعها ظاهرة فنية أو اجتماعية، ومن الشعراء الذين أكثروا من الشعر السياسي هم شعراء بكر لأنهم يقطنون في أطراف الجزيرة الشرقية ، والشمال الشرقي.[1]

ونقصد بالهجاء السياسي ، الهجاء الذي يقوم على العصبية للوطن، فيهاجم كل ما يؤديه أو يهدد كيانه، فالشاعر هنا يعبر على الجماعة هو أحدها، ولا يكاد يحس شخصيته إلا في حدود هذه المجموعة التي يرتبط مصيره بها كل الارتباط ، فهو يعني فيها وجوده، ويتجرد من نزعاته وأهوائه ، ليحس بإحساسهم، ويرى بأعينهم، ويسمع بأذانهم. فشخصية الفرد هنا ضئيلة نحيلة، لا تكاد تحس لها أثرا و الوطن شيء حي، له وجود قوي وكيان ظاهر ملموس، والوطن عند الجاهليين لا يصور حدودا جغرافية معينة، كما نتصوره اليوم، ولكنه يصور جماعة من الناس، تربطهم أواصر من النسب صحيحة أو مزعومة، قد انبتت عليها حياتهم، فعاشوا في حدود هذا التصور، وقد ارتبطت مصالحهم، متضامنين في الخير والشر، يدا واحدة على كل من عاداهم. وعلى هده الأنساب قامت أحلافهم وحروبهم منذ

عهد بعيد ، فاستقرت في نفوسهم على مر الأساهم. كان الوطن هو العصبية، وهذه العصبية هي القانون الوحيد الذي انبتت عليه حياتهم.[2]

ينصر الرجل منهم أخاه ويتعصب له، ظالما أو مظلوما

لاَ يسْألونَ أخَاهُم حِينَ يَندبُهم فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

الرجل وأخوه يد واحدة على ابن العم، وأبناء العم الأدنون يد واحدة على ابن العم البعيد، وأبناء العمومة جميعا يد على المهاجم من الغرباء. من أجل ذلك ، كان مفهوم العصبية مرنا يتغير بتغير الظروف ، فقد يضيف حتى لا يشمل إلا البيت من البيوت، أو البطن من البطون، وقد يتسع حتى يضم القبيلة أو الشعب . فالأعشى مثلا شاعر بكري، إذا وقع بأس بكر بينهم فهو يمثل بيته من بني سعد بن ضبيعة، ثم بني قيس بن ثعلبة، يهاجم من أذاهم بمكروه ،

[1] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية 1985، ص 159.

[2] محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1389 هـ - 1970 ، ص 137.

ويتغنى بمدحهم والإشادة بفضلهم ، فإذا جمعت بين هده البطون في حرب كبيرة، كحرب ذى قار، حين يهاجم الفرس بكرا ، كان الصوت المعبر عن بكر بل عن وائل جميعا، متناسبا ما كان بين بطونهم من حزازات وأحقاد. وقد تأخذ العصبية بعد هذا شكلا أعم، فتكون بين اليمنية والعدنانية، كالذي كان في يوم خزاز، حين اجتمعت مغد كلها على كليب وائل ، واجتمعت اليمنية إلى سلمة بن الحرث بن عمرو بن أكل المرار ، فسار إلى جموع نزار، ثائرا لأخوته حجر وشر حيل ومحرق وشر حبيل.

فالهجاء السياسي يصور ما بين القبائل من منازعات ومنافسات.[1]

الهجاء الديني:

تطور هذا النوع من الشعر في البعثة المحمدية، وهو وجود مهتز ، لأنه لا يتعدى الخبر والنقل وارتد إلى ما ألف الناس من الهجاء ولا سيما الشخصي والقبلي منه، وهذا ما يمثله هجاء حسان لقريش وغيرها.

وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – هاجيا قريشا ومفتخرا بشجاعة الأنصار:

تحالد الناسُ عنْ عَرض فنأسَرهُم فَينا النبي وفينا تَنزلُ السُور[2]

صور الهجاء وأساليبه الفنية:

(أ)- صور الهجاء:

لابد أن تتوفر في الشاعر الهجاء المقدرة على التصوير، وكل شاعر لديه القدرة على التصوير، ولكنه لدى الهجاء ألزم ، لأنه لا يكتفي برصد الظواهر المرئية ونقلها في صور متلاحقة شأن شاعر الوصف مثلا، وإنما يخلق صورة جديدة، ويبتكر زوايا معينة يركز عليها، فلا بد أن يمتاز بقد كبير من الحساسية، و المهارة في تركيب الصور .[3]

[1] المرجع السابق، ص 138.
[2] ديوان عبد الله بن رواحة ، تحقيق : وليد قصاب ، ط ، متوسطة ، بيروت، ط 1، 1981،ص94-95.
[3] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره و أساليبه الفنية، الناشر مؤسسة الشباب، الجامعة إسكندرية،1985، ص281-282.

ونستطيع أن نجمل ما يتوفر في الشاعر الهجاء في هذه الأمور:

أولا: الثورة

شاعر الهجاء لديه قسط وافر من الثورة، ونصيب الكبير من الغضب وهذه الثورية هي التي تحرك موهبة الشاعر، وتشعل حميته، وهي ليست ثورة سلبية تقوم على الهدم، ولكنها في شعر الهجاء ثورة إيجابية تتوخى البناء.[1]

ثانيا: النقد

لابد أن يغلب على شعر الهجاء عنصر النقد ، وتبيين الأشياء، فالثورة لا تكفي لخلق شاعر هجاء ، إذ قد يثور الإنسان المعتاد والأحمق، ولكنه لا يميز بين الأشياء ، أما الشاعر الهجاء فلابد أن يكون ذاعين بصيرة، وحاسة لاقطة، وإدراك ذكى لماح، يميز بين المشتبه.[2]

ثالثا: السخرية

وهي عنصر هام في بناء الصورة الهجائية، لأن الشاعر يتناول موضوعا مألوفا وربما

تعاطف مع المهجو الناس، فلكي يجذبهم نحوه، وينفرهم من المهجو، فلا بد من تأصل عنصر السحرية في العمل، والسحرية في الهجاء تقوم بدورين :

1- دحر المهجو بإضحاك الناس عليه ، وسحريتهم منه .
2- جدب المتلقي ، وشد السامع نحو الهجاء ، واحياره على رواية وحفظ والسخرية فن قائم بذاته في الهجاء ، وهو يحتاج إلى مواهب متعددة ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع.[3]

[1] المرجع السابق ص281.
[2] المرجع نفسه ص282.
[3] المرجع نفسه، ص 282.

رابعا: التصوير

وهو الذي يصوغ ثورة الشاعر ونقده وسخريته في صورة مختارة تحقق ما يتوخاه الشاعر، ويؤتي ثمارها عنده، وإنما تئول كل فنون الهجاء إلى التصوير، لأنه يعالج أمرا ينفر منه الجميع وهو ذكر العيوب ويحتكم إلى الناس في إلفهم وعرفهم ومشاهداتهم ومهاراته تكمن في تقديم المألوف بصورة غير مألوف، وتصوير المعروف المعلوم في شكل طريف يغري بالنفور، وتكتمل الصورة جمالا بأن يشعر الشاعر بنوع من الغبطة، وجانب من القيمة وهو يقدم عمله.[1]

-ونستطيع أن نحمل أنواع الصور في الشعر الهجائي على النحو التالي :

1. الصورة السالبة.
2. الصورة الإيجابية.
3. صورة المقارنة.
4. صورة المشكوك فيها.

1- الصورة السلبية:

وهي تبدأ غالبا بالنفي، كليس مثلا أو ما، ثم يسرد الشاعر عدة صفات معينة عند قوم بأعيانهم، وهو بذلك يدور في محورين، نفي النقائص عن قومه أو ذاته، وإثباتها على غيرهم، فالأعشى وهو شاعر الهجاء في الشعر الجاهلي يهجو كسرى ويثير قومه (قوم الأعشى) عليه في قصيدته التي مطلعها:[2]

أَثْوَى وَ قصر لَيْلَة ، لِيَزوذَا وَمَضَى، وأخْلفَ مِنَ "قتيلة" موعدا

يأتي بصورة سالبة وهو يقول لكسرى، إياك أن تظن أننا مثل سكان (تكريت) أولئك القوم الذين يهتمون الزراعة، وقد بلغ بهم الكسل.

-ومن الهجاء السلبي يكشف الشاعر عن جانب النقص ناقص في الحياة المهجو أو في سلوكه، فلا يشاء أن يذكره صراحة وإنما يجنح إلى سلب تلك الصفة عن نفسه أو قومه.

[1] المرجع نفسه ،ص 284-287.
[2] ديوان الأعشى، بطرس البستاني، دار الصادر بيروت، د.ط 1966، ص 190.

2- الصورة الايجابية:

-وفيها يعمد الشاعر إلى صفات معنية لدى فرد أو قوم فيصورها ويحسمها، فأوس ابن غلفاء يهجو يزيد بن الصعق المشهور بهجاء بني تميم وهجاؤه فيهم مؤلهم موجع، فأراد أوس أن يهجوه فصوره في صورة طريفة ، إذ خيره بين أمرين أما أن يظل سادرا في غيره، وإما أن يرعوى صاخرا لأنه يحترم إذ يهجو بني تميم.

وَإِنَكَ شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السنِ مَعْرُوف عَنْكَ الحَماقَة[1]

3-صور المقارنة

وهي التي تقوم على المقارنة بين حالتين، أو ظاهرتين أو صفين مثلا وتعتمد على المفارقة، وهذه الصورة كثيرة في الشعر الجاهلي، ومن نماذجها قول الشاعر الجاهلي :

وَأَنَا لِقَومِ مَا نَرَى القتل سِبَة إِذَا مَارَأَتْهُ عَامِ ر و سَلُول

يَقْرَب حُبُ الموتِ آجَالِنَا لنا وَنَكْرَهُهُم آجالُهُم فَتَطُول

فقد قارن الشاعر بين موقف قومه من القتل وموقف عامر وسلول منه، فهم يقبلون على الحرب، غير ملقين بالا لعاقبة فعلهم، لا يرون في الموت تحت ظلال السيوف نحسا، لا سيتشعرون معزة، ولكن موقف يختلف عند عامر وسلول ولذلك فنجن قصار الأعمار لأننا نقبل على الموت في حب أما هُم فيزورون عنه ، ويبغضونه فتسلم لهم أعمارهم وتطول أيامهم،[2] وهذا الهجاء قائم على المقارنة في الموقف والنظرة.

وهده الصورة رسمها كعب بن زهير حين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم و المهاجرين في قصيدته الشهيرة بانت سعاد في قوله:

أن الرَسُولَ لنُورٌ يسْتَضَاءُ بِه مُهَنَدٌ مِنْ سَيُوفِ الله مَسْلُولُ[3]

[1] ديوان الأعشى،ص 193.
[2] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره وأساليبه الفنية،ص 288.
[3] ديوان كعب بن زهير، علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط 1997، ص 67.

4- الصورة المشكوك فيها:

وهي التي بينها الشاعر على أمر مظنون، غير مقطوع به، فتشكك في النسبة ويستريب في النبأ، وهذا البناء محتاج إلى مهارة. وصورة تقوم على الفرض لا على التسليم ، وخطوطه مبنية على التوقع لا على المألوف ومن الأمثلة الشائعة في ذلك قول زهير:

وَمَا أَدْرَى وَسَوْفَ أحال أدْرَى أَقُوم آل حَصْن أَمْ نِسَاء

فإنْ تَكُن النِسَاء مَخْبَـــــآت فَحَقَ لِكُلِ مَحْصنة هـــذا[1]

يتشكك الشاعر في كنه أهل حصن، هل هم رجال؟ .. أم نساء؟

فهذا التشكك أشد قتلا في الهجاء من القذف المباشر، لأنه بالشك يسلب صفات الرجولة، ويحرمهم من ملامح الأنوثة. فهم لا يعدون في الرجال عند المباهلة، ولا يحسبون مع النساء عند المنازلة.

ليست كل صور الهجاء على وثيرة واحدة ونظام ثابت، وإنما تختلف حسب الموضوع الذي تصاغ فيه، والفكرة السائدة الأساسية في النص ، فمن هذا نستنتج أن اختلاف صور الهجاء باختلاف موضوعاتها.

أساليب الهجاء:

لكل فن من فنون الشعر أساليب تغلب عليه ، وإنما يميز بين الفنون ووسائل التعبير، وطرائق الأساليب، ونستطيع أن نجمل أساليب الهجاء ونردها إلى الظواهر التالية :[2]

1-البعد عن الفحش:

اختار بعض النقاد القدامى أن يكون الهجاء غير مفحش ، فلفظه لا يحرج الحياء وأسلوبه نقي برئ من عهدة الفحش ، ولعل هذا من الآراء المتأثرة بالثقافة الإسلامية ومما ينسب إلى أبي عمرو بن العلاء أنه قال:

" خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها، فلا يقبح بها"

[1] ديوان كعب بن زهير،ص 42.
[2] عباس عجلان، الهجاء الجاهلي، ناشر مؤسسة الشباب الجامعة اسكندرية،1985،ص310

ولو أننا جرينا هذا الحكم لألغينا كثيرا من شعر الهجاء الجاهلي.

يقول أوس بن حجر:

إِذْ ناقَة شَدَتْ بِرحَل ونَمرَق إِلَى حَبيبكُم بَعْدَى ، فَضْل ضَلاَلَهَا

2- يسر التركيب الفني:

فالهجاء لا يبنى على المعاظلة و الإغراب اللفظ ، لأن الشاعر لا يروم الإثبات تفوقه اللغوي، وإظهار غوصه على المفردات التي تعزب عن كثير من الشعراء، ولكنه في الهجاء خاصة ينشد الذيوع والانتشار، وليس من سبيل أمامه غير الصياغة السهلة الميسرة، وكم هجاء لا بأس من الناحية الفنية قصي عليه سوء الصياغة، وظل حبيب ديوان الشاعر.

ولعل خير مثال على ما نزعم شعر الهجاء الذي قيل في المنافرة بين علقمة ابن علاثة و عامر بن الطفيل.

ولكن ملاحظ أن الشعر الأعشى في هجاء علقمة راج وانتشر وذهب كل مذهب، بينما لم يسر شعر الحطيئة في الهجاء عامر ويرجع النقاد السبب ذلك إلى سبيل الصياغة، وأسلوب الهجاء لدى الشاعرين فقد انتشرت قصائد الأعشى لما تمتاز به من سهولة التركيب ، وبساطة التعبير وتضاءلت قصائد الحطيئة لصعوبتيها فازور الناس عنها، ونفر منها الرواة.[1]

وقد قارن أبو هلال العسكري ، بين قصيدة الحطيئة في عامر وقصيدة الأعشى في علقمة.

يقول الحطيئة :

يَا عَام قَدْ كُنْتَ ذا بَاع ومَكْرَمَةً لَوء أَنَ مُسْعَاة مِنْ جَارِيَتِهِ أُمَم

ويرد عليه الأعشى :

عَلْقَم مَا أَنْتَ إلى عَامِرِ النَاقِضْ الأَوتَارَ ، والوَاتر.

ـ فقال أبو هلال العسكري :" وَهَتانِ القَصيدتان جيدتان، بارعتان في معانيهما، ولكن الناس استحقوا قول الأعشى" علقم ما أنت إلى عامر"

[1] المرجع السابق،ص311.

فمر على ألسنتهم فسقط شعر الحطية، وهذا الذي قال أبو هلال ينطبق على عامة شعر الهجاء، فالشاعر فيه ينأى على كزازة اللفظ ، وضعف التأليف وكل ما يشوه جمال التركيب والأسلوب.[1]

3- القصيدة إلى الصدق و النأى عن المبالغة :

بمعنى أن الهجاء لا بد أن يقوم على الصدق الواقعي، فلا يبين الشاعر الهجاء عيوبا متوهمة، ويخلق قضايا من اللإفك بين ثم يطلب من الناس استماع إليها، وتقبلها بقبول حسن.

فكلما اعتمد الهجاء على الصدق كان ذلك أدعى إلى قبوله، والتصديق به.

يقول الجاحظ:" بموافقة الحقيقة ، ومضى صفحا عن الآخرين بمالا يوافق الحقيقة ولا صادف موضع الرمية"، فهذا يعني أن شعر الهجاء لابد أن يبني على الحقيقة و المصداقية، وشعر الهجاء بنى بهذا ولقد صرح الشاعر بضعفه لأنه لم يجد واقعا يسانده، وحقا يبني عليه، إذا لا يرفع الحق إلا الحق والباطل لا ينسخ اليقين.

وَقَافِية قِيلَتْ، فَلَمْ أَسْتَطِع لَهَا دِفَاعَا ، إذا لَمْ تضْربوا بالمناضِل فأدفع عن الحق بحق، ولم يكن ليدفع عنكم قاله الحق باطل.

4- المبالغة والتزيد:

يستغل الشاعر الهجاء المعطيات التي أمامه ومن ذلك قول حسان بن ثابت يهجو هذيلا :

لَوْ خَلَق اللؤم إنْسانًا يُكَلِمُـــــهُمْ لكانَ خَيْرٌ هَذَيْلٌ حِين يَأتَيْـــها.

تَرَى مِنْ اللَؤُمِ رَقْمًا بَيْنَ أَعْيُنِهِم كَمَا كَوى أدرع العَانَات كاويــها

يبكي القبور إذا مَات ميْتُهُم حَتَّى يَصـــيح في الأرْضِ ذَاعِيـــــهَا

مِـــثْلُ القَنَافِدِ تَخْزَى أَنْ تُفَاجِئَهَـا شَد النَّهَارْ ويَلْقى الليل ساريَـــها[2]

[1] عباس بيومي عجلان،الهجاء الجاهلي،ص321-313.
[2] ديوان حسان بن ثابت، علي فاعون، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط،1997،ص 34.

ـ فحسان يبالغ ويتزيد في هجاء (هذيل) فقد أراد أن يصور بشاعة منظرهم، فادعى أن الموت لوكان رجلا ينطق لشابه أحسن هديلا شكلا، وأجملهم تكوينا، وفي الموت تتجمع كل صفات الكريهة، ولما كان الشاعر مدركا أنه يبالغ فقد صدر البين (بلو) التي تخفف من غلواء المبالغة وتحد من حدة التزيد.

أما لؤمهم فظاهر جلى لا يخفي على ذى عينين، ما أن تنظر إلى جبهته حتى تراه سمة مميزة، وعلامة فارقة بينهم وبين غيرهم وهم لا يريحون الأحياء و الأموات، فميتهم تبكي منه القبور، وتضج بالشكاية والنفور، ويطول أمد الشكوى إلى يوم الساعة وهم مع قبحهم لا يظهرون إلا في الشر، ولا يبدون إلا في الظلام.[1]

وقد يكون هديل قبح في الشكل وخطأ في السلوك، ولكنهم ليسوا على هذه الصورة التي صورها حسان بن ثابت فقد جنح في المبالغة.ومال إلى التزيد، وإنما دفعه إلى ذلك أن هذيلا كانت ذات بأس شديد في ذلك الزمن، ولا يجدي معها قول اللين.

5- أسلوب المقارنة:

هذا الأسلوب يحتاج إلى مهارة من الشاعر، إذ يتعرض الشاعر لموازنة بين المهجو وغرضه، وهذا أشد إيلاما، فالشاعر يتردد بين فنين من فنون التعبير: المديح والهجاء، ويتضمن هذا الأسلوب كذالك إظهار التفاوت بين الناس، وايغار الصدور بذكر الفضائل، وإشاعة القبح، وذلك يؤرث العداوة، ومن هنا روى أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : شدد لنكير على الحطيئة حين ألفاه يسلك هذا السبيل، ونهاه نهيا مباشرا عن ذلك ، وسماه الهجاء المقذع.

فقد قال له بعد أن أطلقه من حسبه عقب هجائه للزبر فان بن بدر:" إياك والهجاء المقذع..... قال و ما القذع يا أمير المؤمنين؟ أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبنى شعر على مدح القوم، ودم لمن يعاديهم".[2]

[1] عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي،ص 314.
[2] عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، ص 315.

يقول الحطيئة في الزبرقان بن بذر:

دَعَ المَكَارِمَ لاَتَرْحَلَ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعَ فإنكَ أَنْتَ الطَاعِمُ الكَاسي[1]

وهذا النمط من الأسلوب موجع لأنه غير محدد الدلالة تحديدا يوهم من أثر المعنى ويبتر العطاء الفني ، إذ التصريح يكشف عن المراد ويحصر الهدف ويبحث المرء من خلال الأسلوب عن المعاني المتوارية خلق التعبير وفي ذلك ما يجعل لها أسلوب إغراء ، ويمنحه فصل التأثير.

6- الإيجاز:

وفي هذا الأسلوب يركز الشاعر فكره ويكثف صوره، ويخرج عن مضمونه في صياغة قصيرة، والشاعر الهجاء يطمح من وراء ذلك إلى سهولة الحفظ ويسر الرواية، لأن الكلام الطويل ينسى جزء منه ويعسر حفظ كله.

-ولما كان الهاجى يروم الذيوع والانتشار فقد ركز في أسلوبه وآثر القليل على الكثير، وقد فطن إلى هذا الشعراء القدماء، ولعل في إجابة عقيل بن علفة حين سئل: مالك لا تُطِيل الهجاء؟

فقال:" يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق".[2]

وهذا الأسلوب شائع في الهجاء، ومن نماذجه قول الشماخ بن ضرار يهجو نساء بني سليم وكان متزوجا منهن:

وَانَى لَمِنْ قَوْم عَلَى أَنْ ذَمَمْتَهُمْ إِذَا أُلَمُوا لَمْ يُولَمُوا بِالأنَافِحِ

وَأَنَكَ من قَوم نَحْنُ نِسَاؤُهُمْ إلى الجَانِب الأَقْصَى حَنينَ المَنائحِ

وهو في دلك يرمي نساء بني سليم ببدل عرضهن للأجانب، وهو بهذا الأسلوب يحفظ ويروى.

[1] يحي الشامي، أروع ما قيل في الهجاء، دار العزه والكرامة، ط1، 1435 هـ/2014م ص30.

[2] عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي، ص 319-320.

7- الإطالة :

من الأساليب الهجاء الإطالة، وهي شائعة في الشعر الجاهلي و الإطالة تجمل حين يريد الشاعر أن يذكر تفاصيل حدث ما، أو يكثر من ذكر معايب قوم حتى لا تقوم لهم قائمة، ولا يبقى لهم ذكر، ومن شعراء الهجاء الطويل: الأعشى، الحطيئة، والشماخ، وحسان ابن ثابت، وشعراء قريش الذين هجو محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

وحين يكون الشاعر محنقا مغيضا فأنه لا يستقي غليل صدره بيت أو بيتان، وإنما يهدئ من ثورته القول المسهب، وعلى هذا فالإطلالة لها غرضها البلاغي، وموجبات وجودها وفيرة، ودواعيها مكينة في النفس، ومستقرة في الصدر.

8- الشك والتجاهل:

وقد يلجأ الشاعر في الهجاء إلى الشك أو أسلوب المتجاهل، وقد أوردنا من نمادجه شعر للنابغة وشعر الزهير، ومن نماذجه قول حسان بن ثابت يهجو بني عايد من بني مخزوم:

أَأَنْ تَصْلُحَ فإنكَ عَابْدى وَصَلُحَ العابِدى إلى فَسَادِ

وَأَنْ تَفْسُدَ أَلْفِيت إلاَ بَعيدًا مَا غَلِمَتْ مِنَ السِدَادِ[2]

9- الإضحاك:

يمتاز الشاعر بصياغة أفكاره في أسلوب يبعث على الضحك ويحمل على البهجة، وجل الصور و الأساليب التي ذكرناها بينها قاسم مشترك من فن الإضحاك وذلك يذهب الحساسية من رواية المنكر من القول أو حفظ عيوب الناس ، فكلما أخرج الشاعر قوله بصورة هزلية كان ذلك أدعى إلى القبول و التعشق و أسلوب إضحاك يحتاج إلى مهارة فائقة من الشاعر وبراعة.[3]

[1] المرجع السابق ،ص 321.
[2] ديوان حسان بن ثابت، علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط1، 1997، ص 52.
[3] عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره و أساليبه الفنية، ص 322- 323.

خصائص الهجاء:

1- الهجاء يقوم على البساطة في التعبير ، تتلفه المعاني الغريبة وصور المختارة والملائمات اللفظية من جناس، ، وطباق ومقابلة.
2- الهجاء يقوم على التصوير اللماح ونقل الحياة الواقعية بغير تهذيب وبلغتها الشعبية في بعض الأحيان.
3- يقوم الهجاء على الوضوح الخلاب لذلك كله، كان طبيعيا أن يتحول هذا الفن الذي يقوم على نقد الحياة شيئا فشيئا من الشعر إلى النثر.[1]

[1] محمد محمد حسين، الهجاء و الهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3،1389-1970،ص 51 (بتصرف).

الفصل الثاني

❖ دراسة فنية لقصيدة الحطيئة ـ " لايذهب العرف "

✓ المبحث الأول

- نبذة عن حياة الشاعر المخضرم ـ الحطيئة ـ
- نشأة الشاعر الحطيئة.
- إشفاق القبائل والأشراف من هجاء الحطيئة.
- وفاته

✓ المبحث الثاني

- الهجاء المقذع وعقوبته في الإسلام وأبلغه.
- أروع ماقال الحطيئة في عرض الهجاء.
- أسلوب الحطيئة في الشعر.

✓ المبحث الثالث

- قصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر ومحاكمته عند عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ
- نموذج لقصيدة الحطيئة " لايذهب العرف ".
- شرح معاني الأبيات.
- تحليل فني للقصيدة.

المبحث الأول :

نبذة عن حياة الشاعر المخضرم الحطيئة :

ظل فن الهجاء في معظمه قليل الخطر من الناحية الفنية،فقد نبغ في شاعر كبير هو الحطيئة، فارتفعت قيمته وعظم خطره،فقد احترف هذا الشاعر الهجاء كما احترف المدح .ارتزق بالمدح عند الكريم الذي تهزه الأريحية،وبالهجاء عقد البخيل الذي يظن بماله،ولا يبذله للمادح.فأصبح الهجاء يديه صناعة، يقف عليها الشاعر جهده،ويفتن فيها بما يجعل لها الأثر المرجو في الناس[1]

اسمه ونسبه :هو جرول بن أوس بن جوّية بن مخزوم بن مالك وينتهي نسبه إلى مضر.كان مغمورا في نسبه ،لان أمه كانت أمه كان يقال لها "الضراء"وأباه أوسا مات ولم يعترف به .

فقد كان لأوس زوجة حرة من بني ذهل،وكان لهذه الزوجة أخ يسمى الأفقم .ولم تنسبه إلى أوس خوفا من مولاتها،فنشأ الحطيئة متدافع النسب،فكان اذا دفعته عبس،غضب عليها،وقال:أنا من ذهل.

وإذا دفعته ذهل،غضب عليها،وانتسب إلى عبس.[2]

2-ولادته :لا تذكر لنا المصادر لا مكان ولا ولادته ولا زمانها.وكل ما نعرفه أنّ بني ذهل الذين كان ينتسب إليهم أحيانا كانوا يسكنون اليمامة بدليل قوله فيهم:

إن اليَمَامَةَ تَسرُّ سَاكِنَهَا أَهْلُ القُرَيَّةِ مِنْ بَنِي ذُهْلِ

[1]محمد حسين،الهجاء و الهجاءون في الجاهلية،دار النهضة عربية، بيروت، ط3 ،1389هـ/1970م، ص123.

[2] ديوان الحطيئة،شرح سكيت، دار الفكر العربي،بيروت،ط1،2001،ص05.

أما زمان ولادته،فكل ما نعرفه عنها أنها كانت في الجاهلية،وأنه مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان،وهو شيخ طاعن في السن، وانقسمت حياة الحطيئة إلى قسمين:قسم قضاه في الجاهلية ،وقسم آخر قضاه في صدر الإسلام.[1]

3-كنيته ولقبه :كنّى الحطيئة"أبي مليكة"و"مليكة"ابنته،لقب ب"الحطيئة"،وقيل لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض ،وقيل غير ذلك،وقد غلب لقبه كنيته كما غلب اسمه،فهو مشهور في الأدب بلقبه الحطيئة.[2]

[1] المرجع السابق،ص6.

[2] ديوان الحطيئة،شرح: ابن السكيت،ص07.

نشأة الشاعر الحطيئة :

أحاطت بنشأة الحطيئة ظروف لا تحلل إليه الحياة،ولا تعطف قلبه على الناس.فقد ولد لأمه،حملت به من سيده أوس بن مالك العبسي ،واضطرت أن تكتم ذلك عن سيدها وهي من بني ذهل بن شيبان.فزعمت لها أنها حملت به من أخيها الأفقم.ثم مات سيدها،وأعتقتها سيدتها بعد أن زوجتها رجلا من بني عبس.وعند ذلك اعترفت بأنها حملت من سيدها فالحطيئة قد خرج إلى الدنيا يحمل أوزارا لا بد له فيها،وقذف به الى الحياة ملعونا من الناس،لا يجد عندهم حنانا،ولا يلقى منهم إحسانا،وجه قبيح وجسم رث قمىء،ونسب مغموز.

ينتسب لذهل، مطالبا بمراثه من الأفقم، فيرد مذموما مدحورا.فإذا انقلب إلى بني عبس،وطالب بميراثه من أوس،لم يكن نصيبه إلا السخرية والاستهزاء.فأي شيء ينتظر من رجل هذا شأنه إلا أن يكون كارها للدنيا،ناقما عن كل من فيها؟ هو ناقم على أمه التي حملته شهوة،ولفظته لعنة.[1]

هو ناقم على هذا الأدب المجهول، الذي لم يورثه إلا عارا باقيا،وهو ناقم على الظروف،التي جمعت إلى كل هذا،قبح المنظر ودمامة الخلقة.ورجل هذا شأنه لا يخرج له من ورطته إلا بأن يواجه الحياة في جرأة صفيقة،لا يبالي معها ما كان من أمره ،وأن يلقى الناس بوجه جامد قد أعده لما يقولون،وأن يكف عن نفسه أذى الناس بإيذائهم،ويدفع تهجمهم عليه بسلاطته عليهم.[2]

أدبه :انصرف منذ نشأته إلى الشعر،فكان زاوية لزهير،ولابنه كعب من بعده،حتى نبغ فيه،فكان جنّته،التي يسّر بها منهم قبل أن ينالوا منه،لا يفرق بين أحد منهم. تشريفهم و وضيعهم،ومحسنهم وجاهلهم.[3]

---

[1] محمد حسين ، الهجاء و الهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3 ، 1389 هـ/1970 م ص123.

[2] المرجع نفسه، ص124.

[3] ديوان الحطيئة شرح : ابن سكيت ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 2001، ص7.

قال الحطيئة عن الشعر :

الشِعْرُ صَعْبُ وَطَوِيل سُلَّمَهُ إذَا ارْتَقَى فِيهِ الذِي لاَ يَعْلَمَـــهُ

زَلَّتْ بِهِ الحِضِيضِ قَــدَمُهُ وَالشِعْرُ لاَ يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلَمُهَ

للحطيئــة ديــوان شــعر دار حــول المــديح والهجــاء والفخــر والغزل،وهــو يبــدو لنــا مــن خلال أدبه شاعر تكسب وشاعر قصص و وصف.[1]

اتخــذ مــن الشــعر مكســبا وتجــارة وحيــاة ومعيشــة،لكنّه ســار فــي الشــعر منحــى الهجــاء فهــب كــل مــن كــان لا يعطيــه،وهجا كــلّ لا يــدفع لــه المــال والنــوق والخير...وهجــا أباه وأمه ،ونفسه وعشيرته.

منزلتــه وعشــيرته : وقــد أشــار بمنزلتــه الأدبيــة الكثيــر مــن العلماء،فقــد عــدّه ابــن ســلام فــي الطبقــة الثانيــة .وقــال فيــه:"هو متــين الشــعر شــرود القافيــة"،وقال أبــو عبيــدة:"ما تشــاء أن تطعــن فــي شــعر شــاعر إلا وجــدت فيــه مطعنا،ومــا أقــلّ مــا تجــده ذلــك فــي شــعر الحطيئة".

وقــال أبــو صــفوان الأجــوزي :"ومــا أحــد الاّ لــو أشــاء أن فــي شــعره مطعنــا لوجدتــه إلا الحطيئة.وسئل الحطيئة:من أشعر الناس؟فأخرج لسانه،ثم قال:"هذا اذا طمع".[2]

اشفاق القبائل والأشراف من هجاء الحطيئة :

كانــت القبائــل والأشــراف تلطــف عليــه،قبل أن يســبقهم هجائــه،حيث قــالوا:"إن هــذا الرجــل لا يســلم أحــد مــن لســانه".فتعالوا حتــى نســأله عمــا يحــب فنغعلــه،وعما يكــره فنتجنبه،وقــدم المدينــة فــي ســنة مجدبــة،فجمعوا لــه مــالا علــى أن ينصــرف غنهم،وأقبــل فــي ركــب بنــي عــبس حتــى قــدم المدينــة،فأقام مــدة،ثم دخــل علــى خالــد بــن ســعيد بــن العاص،فســأله،فاعتذر عليــه،وقال مــا عنــدي شــيء،فلم يعــد عليــه الكلام،وخــرج مــن

[1] حنّا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،م1،دار الجيل،بيرت،ط1،سنة 1921/1411م،ص242.

[2] ديوان الحطيئة،شرح : ابن السكيت،ص08.

عنده فارتاب خالد فبعث يسأل عنه،فأخبر أنه الحطيئة.فرده،فأقبل الحطيئة فقعد لا يتكلم،فأراد خالد أن يستفتحه الكلام،فقال:من أشعر النّاس؟قال الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلْ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُهُ مَنْ لاَ يَتذَقِي الشَتْمَ يُشْتَمِ

فقال خالد لبعض جلسائه:هذه بعض عقاربه،وأمر به بكسوة وحملان،وعظم شر الحطيئة،وذهب صيته في الهجاء،حتى أتقاه الشعراء،وقف مرة على حسان بن ثابت وهو ينشد،وحسان لا يعرفه،فقال حسان:كيف تسمع يا أعرابي؟ قال:ما أسمع بأسا.

قال حسان: أما تسمعون إلى الأعرابي؟ما كنيتك أيّها الرجل؟قال:أبو مُليْكَة.قال:ما كنت أهون عليّ منك حين اكتنيت بامرأة،فما اسمك؟قال:الحطيئة،فوقع اسمه على حسان موقع الصاعقة،فأطرف برأسه،ثم قال له:أمض بسلام.

كان أعرابيّا غليظا،وقد وصف القرآن الكريم الأعرابي،قال الله تعالى :"الأَعْرَابُ أَشَدُ كُفْرا وَنِفَاقا ،وَأَجْدَرُ أَنْ لاَ يَعْلَمُوا حُدُودَا مَا أَنْزَلَ اللّهُ".[1]

الحطيئة والإسلام :ولقد وصف القرآن الكريم الأعراب،قد كان الحطيئة فظا لم يرق قلبه لشيء،ولم يشرح صدره لهذا الدين الجديد،لأن هذا الدين يدعو الى قانون أخلاقي،فهو لا يعرف من الحياة إلا القسوة والغلظة والعدوان،قسمت عليه الظروف،فقسا على النّاس وكان منافقا لأنه يبيع نفسه لرغبته،أو رهبة،كما وصف نفسه عند سعيد بن العاص حين سأله من أشعر النّاس،فقال والله لحسبك في رغبة أو رهبة اذا رفعت احدى رحليّ على الأخرى،ثم عويت في أثر القوافي،كما يعوي الفصيل وراء الإبل الصادرة.

كان الحطيئة ملحدا بطبعه، وبحكم الظروف القاسية التي أحاطت به فهو لا يستطيع أن يفهم في السماء عدلا،وأن في الأرض بشرا أطهارا،هو غليظ القلب،لا يفهم من النبوة الا أنّها وسيلة للملك،يرثه الأبناء عن الأباء، ولا يرى الزكاة الاّ مفروضا لهؤلاء الملوك، يؤديه رعاياهم كارهيل.

[1] المرجع السابق،ص127-128.

ولكنه منافق ،يظهر الخضوع اذا لم يكن بد.وقد تعود دائما أن يخضع للقوة.فسكت حين قوى أمر النبي-صلى الله عليه وسلم-وارتدت العرب،جهر بكفره،وراح يحرض الناس على الامتناع عن الزكاة ويذم النّاس للخروج على أبي بكر.[1]

وفاته :

ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل انه أوصى.

ومما أوصى به أن يحمل على أتان ويترك راكبا حتى يموت.ففعلوا ذلك حتى مات وهو يقول :لاَ أَحَدَ أَلأَمُ مِنْ حُطَيَّةَ هَجَا بَيْنَهُ وَهَجَا المُرَيةَ

مِنْ لُؤَمِهِ مَاتَ عَلَى فُرَيّضةْ

ولكن اختلف العلماء في تحديد تاريخ وفاته منهم من يقول 665م/45هـ،وبعض يقول 679م/59هـ.[2]

[1] محمد حسين،الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د.ن.العربية، بيروت ، ط3 ،1389 هـ 1970ص.128

[2] شرح ديوان الحطيئة،ابن السكيت،ص22.

المبحث الثاني :

أدرك الحطيئة الجاهلية والإسلام،وكان هجاءا عنيفا،لم يكد يسلم من لسانه أحد،حيث يعتبر من أشهر شعراء الهجاء في الجاهلية والإسلام،وعرّف الحطيئة في الهجاء باقذاعه ولزمه.

الهجاء المقذع :هو من أشد الهجاء لما فيه من التفضيل،فالشاعر يدخل بين الرجلين المتنافسين ،فيمدح أحدهما ويعرض الآخر،فيمثلا الأول زهورا،ويغلى الآخر حقدا،فتثور الفتنة بين الرجلين.

عقوبة الهجاء في الإسلام :

قال النبي صلى الله عليه وسلم :"مَنْ قَالَ فِي الإسلاَمِ هِجَاءًا مُقْذِعًا فَلِسَانُهُ هَدَرَ"،ولما أطلق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه-الحطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له: إياك والهجاء المقذع ،قال:وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟قال:المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ،وتبني شعرا على مدح لقول وذم لمن تعاديهم،فقال:أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئا ،وصرفت مدحي إلى من أراد ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه،يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها:[1]

وَآنَيْتُ العَشَاءَ إلىَ سُهَيْلَ أَوْ الْعُرَى فَطَالَ بِي الإنَاء

أبلغ الهجاء :

وهي ما صنع.وفيها أو من أجلها قال خلف الأحمر:أشد الهجاء أعفه وأصدقه،وقال مرة أخرى:ما عف لفظه وصدق معناه،ومن كلام صاحب

[1] ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج2،دار مكتبة، الهلال، بيروت، ط1، 1996م 1416هـ، ص268.

*سهيل:نجم،الشعرى:كوكب نيّر يطلع اشتداد الحر ، *الاناء:الانتظار.

الوساطة:فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت،وما اعترض بين التصريح والتعريض،وما قربت معانيه ظن وسهل حفظه،وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس،فأما القذف والافحاش فسباب محضض،وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن .

ومما يدل على صحة ما قاله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب اليه اعجاب الحذاق من العلماء وفرسان الكلام،يقول زهير في تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ أَخَالَ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلَ حِصْنٍ أَمْ نسَاء

فَان تَكُنِ النِّسَاءُ مُخَبِّئَـــتَـــات فَحُقَ لِكُلِ مَحصَنَة هِدَاء

وهذا عندهم من أشد الهجاء.[1]

أروع ما قال الحطيئة في غرض الهجاء :

أروع ما قال الحطيئة في الهجاء تذكر بعض الأبيات الفردي والجماعي :

1-ما قيل في الهجاء الفردي(الأسروي) :

قال الحطيئة في هجاء أمه :

جَزَاكِ اللّهَ شَرًا مِنْ عَجُوز وَلَقَاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينَا

تَنَحَّى فاجْلِسِي مِنَّا بَعِيدًا أَرَاحَ اللَّهُ مِنْكِ العَالَمِيـــــنَا

أَغْرَبَا لاَ إِذَا اسْتَوْدِعْبْ سِرًا وَكَانُونًا عَلَى المُتَحَدِثِيـــنَ؟

أَلَمْ أُوَضِحْ لَكِ البَغْضَاءَ منَّى وَلَكِنْ لاَ أَخَالُكَ تَعْقِلَيـــنَا

حَيَاتُكِ مَا عَلِمَتْ حَيَاةَ سُوءٍ وَمَوْتُكِ قَدْ يَسُرَ الصَّالِحِيْنَا

[1] المرجع السابق ص 269.

قال الحطيئة في هجاء أبيه:[1]

لَحَاكَ اللّهَ ثُمَ لَحَاكَ حَقَـــــــا أَبَا وَلَحَاكَ مِنْ عَمَّ وَخَـــــالَ

فَنِعْمَ الشَّيْخُ أنْتَ لَدَى المَخَارِي وَ بِئْسَ الشَيْخُ أَنْتَ لَدَى المَعَالْي

جَمَعْتَ اللَّوْمَ لاَ حَيَاكَ رَبِـــــي وَأَبْوَابَ السَّفَاهَةِ والضَّـــــــلاَلِ

قال الحطيئة في هجاء نفسه :[2]

أَبَتْ شَفَتَايَ إذ اليَوْمَ إلاَّ تَكَلُّمًا بِسُوءٍ ،فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

أَرَى لِي وَجْهًا شَوَهَ اللَّـــــــهُ فَقُبِحَ مِنْ وَجْه وَقُبْح حَامِـــــلُهُ

2-ما قيل في الهجاء الجماعي(القبلي) :

قال الحطيئة هذه الأبيات في هجاء قومه :[3]

أَلاَ مِنَ لقَلْبِ عَارِمِ النَظَرَاتِ يُقَطِعُ طُولَ اَلَيْل بالزَفـــرَاتِ

إذاَ مَا الثُرَيَا آخِرَ اللَّيْلِ أَعِنَقضتْ كَوَاكِبُهَا كَالجِزَعِ مُنْحَدِـــرَاتِ

هُنَالِكَ لاَ أَخْشَى مَقَالَةَ كَاسِـــــجِ اذا نُبِذَ العُزَابُ بالحَجَـــرَاتِ

لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُـــكُمْ قِبَاحَ الوُجُوهِ ســـــــــيِّء

لَهُمْ نَفَرٌ مِثْلث التُيُوسِ وَنِسْـــوَةً مَمَاجِينُ مِثْلُ الآنْدِ النَّعِرَلاتِ

---

[1] ديوان الحطيئة،من رواية،ابن حبيب عن ابن الأعرابي،شرح،أبي سعيد السكري،دار صادر بيروت،ط2،سنة1429هـ/2008م،ص269.

[2] يحيى شامي،أروع ما قيل في الهجاء،ص16.

[3] الحطيئة ديوانه، اعداد محمد عبد الرحيم،دار الراتب،لبنان،ط1،سنة2008،ص10.

أسلوب الحطيئة في الشعر :

1-أسلوب الحطيئة في المدح :

إن من استقرا مدائح الحطيئة لم يخرج من أسلوب عرفه عند سائر شعراء المدح والاستجداء وعرفه في سائر الشعر الجاهلي.وانك لتشعر أن الحطيئة في نهمه واندفاعه وراء المال،ويحاول أن يهدهد شعور الممدوح بموسيقى شعرية تتصاعد من الأوزان والقوافي والألفاظ وتحلق جوا يبعث على العطاء ،وهو يرسل خلال تلك الموسيقى أقوال التزلف،لينة حينا،نافخة ببوق التبجيل والتعظيم حينا آخر ،ويذكر من صفات الممدوح ما يفهمه أنّ الشاعر بحاجة اليه،ويصرح له أن الشاعر فقير معدم،ثم يحوّط الطلب بالصفات أخرى للممدوح مشتقة من المعاني الشجاعة والبأس وكرم الأرومة وما الى ذلك.وهو في شعره المدحي يتعكز على معاني النابغة وأساليب زهير في التنقيح وسلامة اللّفظ والتركيب.[1]

وجه الحطيئة أكثر مدائحه إلى بني أنف الناقة وآل الشماس ومن أروع مدائحه في آل شماس ما نقتطفه من القصيدة التالية :

يا دار هند:[2]

يَا دَار هِنْد عَفَتْ إلاَ أتَى فِيهـــَا بَيْنَ الطَوَى فَصَارَاتِ فَوَادِيـــــهَا

أَرَى عَلَيْهَا وَلِيَّ مَا يُغَيِّـــــرُهَا وَدِيمَة حُلِلَّتْ فِيهَ عَزَالِيـــــــــهَا

قَدْ غَيَّرَ الدَهْرُ مْنْ بَعْدِي مَعَرِفَهَا وَالرِّيحُ قَدْ دَفَنَتْ فِيهَا مَغَانِيـــــــهَا

كَأَنَنِي سَاوَرَتْنِي يَوْمَ أَسْأَلُهـــــَا عُوذ مِنَ الرّثقْسِ مَا تُصْغِي لِرَاقِيهَا

---

[1] حنّا الفاخوري،الموجز في تاريخ الأدب العربي وتاريخه،دار الجيل بيروت ،ط2،1411 هـ/ 1991 م، ص246.

[2] ديوان الحطيئة،شرح أبي سعيد السكري، دار الصادرة ، بيروت ، ط2، 1429هـ/2008 م ص240.

2- أسلوب الحطيئة في الهجاء :

الهجاء نوعان :

أ- الهجاء المطبوع :هو ثمرة لؤم وخبث.

ب- الهجاء المصنوع:بقوله من لا يميل إليه .

بالطبع للرد على طعن وللذود عن الكرامة.

أما هجاء الحطيئة من النوع الأول لأنه يميل من طبيعته الى المناقضة،زد على ذلك أن حاجة الحطيئة إلى المال كانت تزيد لؤمه وطلبه الحافا.إلا أنّ الحطيئة فلما يفحش وان فحش ففي قصد واعتدال.وهو يطعن في مواطن النبل والكرم والهمة وما الى ذلك مما يؤلم ويصيب الهدّف.[1]

قال الحطيئة في هجاء ضيف نزل به:[2]

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْن فَقُلْتُ:مَهْـلاً كَفَتْكِ المَرَّةَ الأُولَى السَّلاَمَا

وَنَقْنَقَ بَطِنُهُ وَدَعَا رُؤَاسًا لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شِبَعٍ وَنَمَـــا

[1] حنّا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،ص247.

[2] ديوان الحطيئة، شرح ابي سعيد السكري ، دار الصادرة بيروت ، ط2 1429هـ/ 2008م ص 229.

المبحث الثالث :

قصة الحطيئة مع الزّبرقان بن بدر ومحاكمته عند عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-

قدم الزّبرقان بن بدر على الخليفة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه،فلقيه الحطيئة بقر قرى،ومعه أبناه أوس وسوده وبناته وامرأته.فقال له الزّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة :[1]

أين تريد؟

قال:العراق،فقد حطمتنا هذه السنة.

قال:وتصنع ماذا؟

قال:وددت أن أصادق بها رجلا يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي أبدا.

فقال الزّبرقان:قد أصبته،فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا، ويجاورك أحسن الجوار وأكرمه؟.

فقال له الحطيئة:هذا و؟أبيك العيش/وما كنت أرجو هذا كلّه.

قال :فقد أصبته. قال: عند من.

قال:عندي.

قال:ومن أنت ؟

قال :الزّبرقان بن بدر.

قال:وأين محلك؟

[1] ديوان الحطيئة،محمود عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية لبنان، ط1، 2008 ص23- 24.

قال:أركب هذه الإبل،واستقبل مطلع الشمس،وسل عن القمر حتى تأتي منزلي.ثم كتب إلى أمه ،وكان اسمها أمّ شدرة أن أحسني إليه وأكثري له من التّمر واللّبن.

وكان الحطيئة دميما،لا تأخذه العين،ومعه عيال كذلك، فلما رأت أم شدرة حاله هان عليها وقصرت به.[1]

ونظر بغيض وبنو أنف النّاقة إلى ما تصنع به أم شذرة ،فأرسلوا إليه أن ائتنا،فأبي عليهم وقال:

إن من شأن النّساء التقصير والغفلة،ولست بالذي أجمل على صاحبها ذنبها.

فلما لم يجبهم ذشوا إلى هنيدة زوجة الزّربقان:أن الزّربقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة .وكانت جميلة كاملة.

فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة،وفي ذلك تداريه،ثم أرادوا النجعة،فقالت له أمّ شذرة :قد حضرت النجعة، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا،ثم اردده ألينا حتى نلحقك،فانه لا يسعنا جميعا.

فأرسل إليها:بل تقدمي أنت أحق بذلك.

ففعلت، وتناقلت إلى ردّه، وتركته،يومين أو ثلاثة.

وألح بنو أنف النّاقة عليه وقالوا له:قد تركت بمضيعة.فلما ألحوا عليه أجابهم فقال:أما الآن فنعم،أنا طائر معكم وتحمل معهم،فضربوا له قبّة وربط بكل طنب من أطنابها جلّة هجرية وأراحوا عليه أبلهم،وأكثروا له من التمر واللّبن وأعطوه لقاحا.[2]

فلما قدم الزّبرقان سأل عنه فأخبر بقصته،فركب فرسه،وأخذ رمحه.وسار حتى وقف على نادي القريعيين فقال"ردّوا عليّ جاري. فقالوا:ما هو لك بجار،وقد

[1] المرجع السابق،ص25.

بغيض:من قبيلة عربية كان ينازع الزبرقان الشّرف،وكانوا أشرف الزّبرقان الاّ أنّه قد كان استغلاهم بنفسه.

[2] المرجع نفسه ، ص26.

أطرحته وضيعته.فألم أن يكون بين الحيين حرب،فحضرهم أهل الحجا من قومهم،ولاموا بغيضا،وقالوا اردد على الرّجل جاره.فقال:لست مخرجة وقد أويته،وان اختاره لم أكرهه.

فخيروا الحطيئة،فاختار بغيضا ورهطه ،فجاء الزّبرقان ووقف عليه،وقال له:يا أبا مليكة أفارقت جواري من سخط وذم؟ قال :لا.

فانصرف وتركه،وجعل الحطيئة يمدح القريعيين من غير أن يهجو الزبرقان،وهم يحضرونه هلى ذلك ويحرضونه فيأبي ويقول"لا ذنب للرّجل عندي.

حتى أرسل الزّبرقان الى رجل من النّمر بن قاسط فهجا بغيضا فقال :

أَرَى ابِلِي بْجَوْفِ المَاءِ حَلَّتْ وَأَعْوَزَهَا المَاءُ الـــــرَوَاءُ

وَقَدْ وَرَدَتْ مِيَاهُ بَنِي قُرَيْــحَ فَمَا وَصَلُوا القَرَابَةَ مُذْ أَسَاؤُو

تُحَلاَءُ يَوْمَ وِرْدَ النَّاسِ ابــلِي وَتُصْدِرُ وَهِيَ مُحْنِقَةً ظِمَاءُ

أَلَمْ أَكُ جَارُشَمَاسُ بَــــن لأَي فَاسلَمِي وَقَدْ نَزَلَ الــــبَلاَءُ

فَقُلْتُ تَحَوَلِي يَاأُمَ بَكْــــــــــرِ إلى حَيْثُ المَكَارِمُ وَالعَلاَءُ

وَجِدْ نَابَيْنِ بَهْدَلَةَ بَنِ عَــــوْفٍ تَعَالَى سَمْكُهُ وَدَحَا الفِنَــاءُ

وَأَضْحَى لِشَمَّاسِ بــــنُ لأَي قَدِيم فِي الفَعَالِ وَلاَ رَبَــاءُ

سِوَى أَنَ الحُطَيْئَةُ قَالَ قَــوْلاً فَهَذَا مِنْ مَقَالَتِهِ جَــــزَاءُ

قَدْ نَاضَلُوكَ فَسُلُّوا مِنْ كَنَائِسِهِمْ مَجْدًا تَلِيدَ وَنَبْلاً غَيْرَ أَنْكَاسِي[1]

فرد عليه الحطيئة في قصيدة يهجو فيها الزّبرقان ويمدح بغيضا والتي يقول فيها :[2]

واللَّهِ مَا مَعْشَرَ لاَمُوا امْرَأً جُنْبًا فِي آَلِ لأَي بنُ شَمَاسِ بأَكْيَــاسِ

[1] ابن السكيت،شرح ديوان الحطيئة،ص17.

[2] أبي سعيد السكّري،ديوان الحطيئة،ص105

مَكَانَ ذَنْبُ بَغِيض لاَ أبَا لَكُـــمْ فِي بَائس جَاءَ يَحْدُو وَآخَرَ النَاسِ

في الأبيات الأولى يمدح بغيض بن الشماس وقومه وبعدها يهجو الزّبرقان بقوله :

دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرْحَل لِبُغْيَتِـــهَا واقْعُدْ فَانَّكَ أَنْتَ الطَاعِمُ الكَاسِي

مَنْ يَفْعَل خَيْر لاَ يَعْدَمُ جَوَازِيه لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

غضب الزّبرقان وقومه ،فاستعدى عليه الزّبرقان عمر بن الخطبان ،فرفعه عمر إليه واستنشده فأنشده،فقال عمر بن الخطاب-رضي الّله عنه-ما أسمع هجاءا ولكنّها معاتبة.فقال الزّبرقان:أو ما تلبلغ مروءتي الاّ أن آكل وألبس.

فقال عمر –رضي الله عنه -:علّي بحسّان بن ثابت،فجيءبه،فسأله،فقال:أتراه هجاء؟

فقال حسان:نعم،لم يهجه ولكن سلح عليه.

فحبسه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-،فقال في الحبس قصيدة بعنوان:"عليك سلام الله "موجهه لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه والتي يقول فيها :[1]

أَعُوذُ بِجِدِكَ إني امْـــــرؤ سَقَتْنِي الأَعَادِي إليكَ السَّجَالاَ

فَانَكض خَير مِنَ الزَّبَرْقَـانْ أَشَدُ نّكَالاً وأَرْجَى تَـــوَالاً

تَحَنَّن هَدَاكَ المَلِـــــيــكُ فَانَّ لِكُلِ مَقَام مَقَّـــــــالاَ

وَلاَ تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الوُشَـــاةِ فان لِكُلِ زَمَان رِجَـــــالَا

فَان كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَسِيقَت إليكَ نِسَائِي رِجَـالاً

حَوَاسِرَ لاَ يَشْتَكِي الوَجَـــا يُخَفَضْنَ آلاَ وَيَرْفَعْـــنَ آلاَ

فلم يلتفت عمر بن الخطاب –رضي الله عنه-حتى قال الحطيئة :

مَاذَا تَقُولُ الأَفْرَاخ بِذِي مَـــــــرَخ زُغْب الحَوَاصل لاَ مَاء وَلا شَجَر

أَلْقَيت كَاسِبَهُمْ فِي قَعْر مُظلـــــــمَة فاغْفرء عَلَيكَ سَلاَم اللّه يَ عُمَــر

أضنتَ الإمام منْ بَعد صَاحِـــــبِه أَلْقَتْ إليك مَقَالِيدَ النّهَى البَشَـــــر

لَمْ يُؤثِرُوكَ بِهَا إذا قَدّمُوكَ لَـــــهَا لَكِنَ لأنفُسِهِم كَنَنَتْ بِكَ الأَثَـــــرُ

فَامنن عَلَى صَبِية بِالرَمل مَسْكَنُهُم بَيْن الأبَاطح تَغْشَاهُمْ بِهَا القَـــرَرُ

أَهْلِي فِرَاؤكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنـــــــهْم مِنْ عَرْض دَاوِية تُعمَى بِهَا الخَبْرُ

فبكى عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين قال :[2]

مَاذَا تَقُول لأفْرَاخ بِذِي مَرخ زُغْبُ الحَوَاصِلِ لاَ مَاء وَ لاَ شَجَر

[1] ابن السكيت،شرح ديوان الحطيئة،ص19.

[2] محمد عبد الرحيم،شرح ديوان الحطيئة،ص31.

فأخرجه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- من حبسه وقال له :"اياك وهجاء الناس،اذا يموت عيالي جوعا،هذا مكسبي ومنه معاشي،قال:فاياك والمقذع من القول.قال:وما المقذع؟قال:أن تخايز بين الناس،فتقول فلان آل فلان خير من آل فلان.وقال:فأنت والله أهجى مني ياأمير المؤمنين،يعني أعرف مني بما يوجع من الهجاء.[1]

من أشهر هجاء الحطيئة ،هجاؤه الزبرقان بن بدر وقومه وقد ضمنّته المشهور في الهجاء:"دع المكارم لا ترحل لبغيتها..."

قال الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر وقومه:[2]

01- ولله مَا مَعشَر لاَموا امرُءًا جُنُبًا فِي آلِ لأَي بنُ شَمَاس بأَكيَاس

02-علاَمَ كَلَفْتَنِي مَجدَا بن عَمِكُمْ؟ والعَيسُ تَخْرُج منْ أَعلاَمِ أَوطَاسِ

03-مَا كانَ ذَنب بَغِيض لاَ أَبَا لَكُمْ فِي بَائس جَاءَ يَحْدُو وَآخِر النَّاس

04-لَقَدء مَرَيتكُمْ لَوْ أَنَ دِرَتَكُمْ يَوْمًا يجيء بِهضا مَسْحِي وابسَاسِي

05-وَقَد مَدَحتُكُم عَمدًا لأُرشِدَكُمْ كَيْفَ يكُونَ لَكُمْ مَنْحي وامرَاسِي

06-وَقَد نَظَرْتُكُمْ إعشاء صَادِرَة للخِمْسِ طَال بِهَا حَبْسِي وَ تَنْسَاسِي

07-فَما مَلَكْتُ بأَن كَانتْ نُفُوسُكُمْ كَفَارِك كَرِهتُ ثَوبِي وإلباسِي

08-مَا بَدَا لِي مِنْكُمْ غَيْب أَنْفُسِكُمْ ولَمْ يَكُنْ لِجرَاحِي مِنْكُمْ آسِي

09-أَ زمعْتُ يأسًا مُبِينًا منْ نَوَالِكُم وَلَن تَرى طَارِدًا للحُرّ كَاليَاس

10-أَنَا ابنُ نَجْدَتِهَا عِلمًا وَتَجرِبَةً فَسَل بِسَعدِ تَجِدْنِي أَعْلَمَ النَّاسِ

11-مَاكَان ذَنْبُ بَغِيض أن رأى رَجُلاً ذَا فَاقَة عَاشَ فِي مَسْتَوْعِرَ شَاس

[1] ابن السكيت،شرح ديوان الحطيئة،ص19.

[2] ديوان الحطيئة،شرح: ابن سعيد السكري، دار الصادرة بيروت ط1429،2 هـ/2008م ص105- 109.

12-جَازَ لقَوْم أَطَالُوا هَوْنَ مَنْزِلِـــــهِ وَغَادَروهُ مُقِيمًا بيْنَ أَرْمَـــــــــاسِ

13-مَلُّوا قرَاهُ وَهَرَتْهُ كلابِـــــــهُمْ وَجَـــــرَّحُوهَ بأَنْيـــَابِ وأَضْـــرَاسِ

14-دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرحَل لبُغيَتِـــهَا فاقـــــعُدْ فانـــك أَنتَ الطَّاعِم الكَاســي

15-وابعَثْ يَسَارًا إلى وفْرِ مُذَممَـــة وأحـــدجْ إليـــهاَ بِذِي عَرْكَينِ قِنـــعَاسِ

16-يَسيرِ أَمَامَ فان الأَكثَرِينَ حَصَـى وَالأَكرَمِـــينَ أبًا مِـــن آلِ شِمَـــاس

17-منْ يَفعل الخَيرَ لاَ يَعْدِم جَوَازِيهُ لاَ يـــَذْهَب العـــرْفُ بينَ اللّه وَالنـــَاس

18- مَا كَان ذَنْبِي إذا فَلَت مَعَاوِلَـــكُمْ منْ آلَ لأي صَـــفَاة أصـــْلُهَا رَاسِي

19-قَد نَاضَلُوكَ فَسَلُّوا منْ كِنَانَتِـــهِمْ مَجْدًا تَليـــدًا وَنُبلاَ غَـــيرَ أنْكَـــــاس

شرح معاني الأبيات :

من البيت {1-9} وهو يقول فيها للزبرقان : ما ذنب بغيض في بائس يعني الفقير، لجأ إليه فأغاثه؟ لقد توددت إليكم متلطفا، كما يتلطف الطالب إلى الناقة، يمسح مهدئا روعها بإبساسة، فلم تَدِرُّوا.

وانتظرت خيركم، كما ينتظر الضيف مجيء الإبل الصادرة عن الماء إلى الخمس، فطال ما انتظرت ولم أجد إلا زهدا فيما أردت أن أكسوكم من مدح، فأنا كال مقيم بين أرماس يعني القبور، كنت بينكم بين الموتى، ضجرو بي و أساء إليا.

من البيت {10-13} يفتخر الشاعر بإحاطته بأنساب القوم.

من البيت {14-17} هجاؤه لزبرقان بن بدر

من البيت {18-19} يمضي الشاعر في المفاضلة بين الحبيب يمدح بغيضا ويهجو الزبرقان.

وقد ظل هجاء الحطيئة يحمل بعض آثار المنافرة، فهو يعتمد على التفضيل والمقارنة، يدخل بين الرجلين المنافسين، فيمدح أحدهما ويعرِّض بالآخر، فيمتلئ الأول زهوا، ويغلي الآخر حقدا.

فتثور الفتنة بين الرجلين، وتغرى العداة بين الرجلين.

هذا الأسلوب بالغ الأثر في النفس العربي، لأنه بطبعه مفاخرة مكاثر، ولأنه يبذل ماعنده لحسن الأحدوثة و طيب الذكر ولأن الشعر يؤلمه من وجهين.

وهو في نفس الوقت شديد الخطر في بث الشر و إيقاظ الفتن بين الناس.[1]

التحليل الفني للقصيدة :

دراسة فنّية لقصيدة الحطيئة"ليذهب العرف":

نبذة عن القصيدة :

القصيدة من تفعيلة بحر البسيط (مستفعلن،فاعلن)ويتكون من أربعة أوزان(مستفعلن،فاعلن،مستفعلن،فاعلن)ولكل وزن أسباب وأوتاد.

مُسْتَفْعِلُنْ فَاْ عِلُنْ

0//-0/ 0//- 0/-0/

سبب خفيف/ سبب خفيف/ وتد مجموع سبب خفيف/ وتد مجموع

سمي بسيطا لأنّ الأسباب البسيطة فب أجزائه السباعية،أي مكونة من سبعة أحرف،وهي"مستفعلن" فحصل في أول جزء من أجزائه السباعية سببان لذلك سميّ بسيطا.[2]

[1] محمد حسين، الهجاء والهجاؤن في الجاهلية، دار النهضة العربية بيروت، ط3 ،1970م ص130-131.

[2] محمد حماسة عبد اللطيف،البناء العروضي للقصيدة العربية،دار الشروق-القاهرة، بيروت، ط1، سنة1420هـ/1999م،ص16.

القصيدة من الشعر التقليدي العمودي،تتكون من تسعة عشر بيتا وتنقسم الأبيات ال أغراض منها:المدح: يمدح الشاعر قوم الذي أعانته ويذم قوم الذي قصر به وتركه.

الفخر: يفتخر بإحاطته بأنساب قومه وأنه أعلم النّاس.

هجاء:يهجو الشاعر ويسلح الزّبرقان بن بدر ثم يمدح قوم ويجو خصمه وهذا ما يسمى بالإقذاع.والمفاضلة والمنافرة.

حرف الروي سين ولقد سميت بالسينية نسبة الى حرفها الروي.

تقطيع البيت الأول من القصيدة :

يقول الحطيئة:

واللهِ مَا مَعْشَرٌ لاَمُوا امْرَأً جُنُبًا مِنْ آلِ لَأَيِ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسِ

وَلْلَاْهِ مَاْ مَعْشَرُنْ لَاْمُ مْرَءَنْ جُنُبَنْ مِنْ اَاْلِ لِاْيِ بْنِ شَمْمَاْسِنْ بِأَكْيَاْسِيْ

0///- 0//0/0/ - 0//0/ -0//0/0/ /0/0/ - 0//0/0/- 0//0/ - 0//0/0/

مُسْتَفْعِلُنْ- فَاْعِلُنْ- مُسْتَفْعِلُنْ- فُعِلَنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَـاْعِـــلْ

إن بحر البسيط جاء على صورته التامة يعني على أربعة أوزان (مستفعلن- فاعلن- مستفعلن- فاعلن).

إلا أن هناك تغير في الوزن(فَاْعِلُنْ).

فَاْعِلُنْ= فَعِلُنْ = حذف الثاني الساكن السبب الخفيف.

فَاْعِلُنْ = فَاْعِلْ = حذف الساكن آخر التفعيلة وإسكان ما قبله الوتد المجموع .

قافية البيت :يَاسِي

/0/0

البناء الفني للقصيدة (الجانب البلاغي):

قال الحطيئة:

فَمَا مَلَكتَ بأَن كَانت نُفوُسُكُمْ كَفَار كَرِهتَ ثَوبي والبَاسِي

معنى البيت :ما ذنب اليوم ان كانت نفوسكم كرهت ثوبي لم أملك بعضكم فأجعله حبا فأنتم في ذلك كفارك،يقصد بالفارك:المرأة المبغضة لزوجها.

يقصد بنفوسكم:الزبرقان بن بدر وقومه،شبه الشاعر الزبرقان وقومه بالمرأة المبغضة لزوجها يعني التي كرهت وابتعدت عنه.[1]

نفوسكم=المشبه.

الكاف =أداة التشبيه

فارك=مشبه به

نوع التشبيه=تشبيه مجمل

أسلوب انشائي :

قال الحطيئة :

والله مَا معشَر لأَمُوا امرأً جُنُبًا منْ آلِ لأي بنْ شَمَاس بأكياس

والله:أسلوب انشائي نوعه=غير طلبي ،طريقته القسم.

البيت الرابع :قال الشاعر:

لَقَد مَرَيتُكُم لَو أنَ درّتكم يَومًا بِهَا مَسحي واسباسي

لو أن درتكم= أسلوب انشائي، نوعه طلبي طريقته :التمني،الأداة:لو.

أسلوب خبري :

قال الشاعر :

لَقَد مرَيتُكُم لوْ أَنَّ درّتكُم يَومًا يَجيء بِهَا مَسْحِي وابسَاسي.

[1] أبي سعيد السكري،ديون الحطيئة،ص105.

في هذا البيت جملة خبرية"لقد مريتكم"يعني"طلب ما عندكم"ضرب الخبر انكاري،أدوات التوكيد = القسم،محذوف وقد.

قال الّله تعالى :"البَائِسُ الفَقيرُ"

قال الشاعر:

مَاكَان الشَاعِر ذَنبُ بَغِيض لاَ أَبَا لَكُمُ فِي بَائِس جَاءَ يَحْدو وَآخِر النَّاسِ

اقتبس الشاعر لفظة بائس من القرآن الكريم بدليل أنّ الشاعر مخضرم عاش عصرين الجاهلية والاسلام وهذه القصيدة نظمت في عهد عمر بن خطاب-رضي الله عنه-

بائس=الزمن،الفقير=المسكين.

البيت الثامن :يقول الشاعر :

مَا بَدَا لِي مِنكُم غَيبُ أنفُسكُم وَلَم لَكُن لِجِرَاحِي مِنْكُمْ آسِي

طباق الإيجاب :جراحي=آسي(المداوي)

في البيت الثاني عشر:يقول الحطيئة :

جَارَ بِقَوْم أَطَلُّوا هَونَ مَنْزِلِهِ وَغَادَرُوهُ مُقيمًا بينَ أَرمَاسِ

منزل=أرماس(قبور).

قال الشاعر :

وَقدْ نَظَرتُكُم إعشاء صَادِرَة للخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوزِي وَتِنْسَاسِي

الجملة الخبرية:"وقد نظرتكم"يعني"ارتقبتكم"ضرب الخبر:الطلبي،أدوات التوكيد:قد.

قال الشاعر :

مَا كَانَ ذَنبُ بَغِيض أنْ رأى رَجُلاً ذَا نَاقَة عَاشَ فِي مُستَوعر شَس

الجملة الخبرية :"ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا"ضرب الخبر:ابتدائي.

يقول الشاعر في البيت الثاني :

عَلاَمَ كَلَّفْتَنِي مَجدَ ابنَ عَمِكُّم وَالعيسُ تَخرُجُ منْ أَعلاَمِ أَوْطَاسِ

عطف الشاعر جملة على أخرى "بواو"وهذا يسمى الوصل.

ويقول أيضا في البيت الرابع :

لَقَد مَرَيتُكُم لَو أَن دِرَتَكُم يَومًا يجيء بِهَا مَسْحِي وابتسَامِي

الشطر الثاني هنا بيان لشطر الأول فبينهما كما الاتصال.

تحليل معنى البيت الرابع عشر :

أسلوب التعريض والتحقير:

قال الشاعر الحطيئة يهجو الزّبرقان بن بدر:

دَع المَكَارِمَ لاَ تَرْحَل لِبُغْيضتِهَا واقعُد فانَكَ أنْتَ الطَعِمُ الكَاسِي

هذا الأسلوب يدلنا على مدى ترك الكلمة أثرا في نفوس القوم،والصارف الذي يصرف المعنى للذم قوله:دع المكارم لا ترحل لبغيتها

لا:أداه بين النهي والنفي.

والحق أنه لا يوجد نزاع،بل توهم قد يظهر للوهلة الأولى في قراءة البيت،حيث لو قريء دون تمعن تجد توجيها يتركب في الذهن ،يذهب بك الى ربط العامل بمعمول مشترك بخلاف ما هو واقع،وهنا الضمير الغائب في الفعلين(دع-ترك).

وفي القراءة السريعة،يكون التوجه بالمدح هو أقرب للسياق،مع عدم الانتباه أو التعلق بالحركة الظاهر على فعل ترحل وهي (السكون).

وخلاصة عدم الالتفات إلى حركة الفعل"ترحل"يقلب الفعل مكارم جوال من حالة الطلب إلى حالة الإخبار فهنا إخبار بأن المكارم لا ترحل إلى غيرك،وبالتالي فانّك ذو مكارم جواد لأنك تطعم وتكسو النّاس.

وهذا المعنى قد يصح لو أنّ الحركة الظاهرة على الفعل "ترحل"هو الضمة"بدلا من السكون.لأنها قلبت لفعل إلى حالة النفي،فالفعل يدور مع الحركة في كونه نفي أو نهي،والحركة تعتمد على الأداة، والأداة لا تعبير عن النهي ،وبالتالي فان المعنى لا يستقيم بأي حال من الأحوال إذا أنّ الحركة الظاهرة على الفعل "ترحل"هي السكون مما يعني أنها في حيز النهي.

وعليه،تكون "لا"أداة النهي"حالة طلب"فهو يطلب منه الا يرحل الى طلب المكارم أي :كناية عن عدم امتلاكها أصلا ،فالمنطق يقول أن من يطلب شيئا يكون مفقودا عنده وإلا لما لزم الرحيل والبحث عنه لذلك يصبح المعنى:

لا تذهب لطلب المكارم لأنك تفتقدها،وكون المكارم معدومة لديه فانه بالضرورة،أن تكون دلالة التضمين لاسم الفاعل صورة مقلوبة لاسم المفعول به .

وهو إطلاق اسم الفاعل وتنسب إليه الصفة والمقصود يكون المفعول به ،بهذا الأسلوب يكون الطاعم يعني المطعوم،والكاسي تعني المكسو.

قالوا في لغة العرب للجيل الذي لا نبت فيه حالق وانما هو محلوق من النّبات لذا لا ينكر أن يخرج المفعول على الفاعل كقوله تعالى:"فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ "الحاقة:21.

قال تعالى:"خُلِقَ مِن مَاء دَافق"الطارق:06

وبلاغة هذا الأسلوب،إنما يريدون المبالغة والإجادة،وقال القراء:يعني المكسو كماء دافق وعيشة راضية.

أي أنّك ترضى بأن تشبع وتلبس،يقال:كسى الرجل يكسى إذا كسى.

فالمعنى:من كفى طعامه وكساءه،فاكتفى ولم يسمع للمكارم،هو باب النسب أي ذو طعام وذو كسوة،وعليه فانه ذم،أي أنه ليس له فضل غير أنّه يأكل ويشرب،وأنك ترضى بأن تشبع وتلبس.

خاتمة

وبعد معالجة بحثنا الموسوم ب"الهجاء في الشعر - ما قبل الإسلام - الجاهلي"دراسة تطبيقية فنية لقصيدة الشاعر الحطيئة أنموذجا.

وقد كان هدفنا تحليل قصيدة "لا يذهب العرف"التي يهجو فيها الزبرقان بن بدر والتي مطلعها:

والله مَا مَعشَرَ لاَمُوا امرُأْ جُنُبًا فِي آَلِ لأَي بنُ شَمَاسِ بأَكْيَاسِ.

للشاعر الحطيئة – الذي يعتبر من الشعراء العرب المخضرمين –الذي اتخذ غرض الهجاء تجارة ومعاشا،فلم يترك أحد في هجاءه.

وقد توصلنا الى مجموعة من النتائج لعل من أهمها ما يلي:

1- غرض الهجاء هو الشتم بخلاف المدح ،وقد كان للعداء بين القبائل والحروب والأيام التي دارت بينهما دور في علو منزلته ومن أسباب انتشاره طبيعة الحياة الاجتماعية في الجاهلية ،وما سادها من تباغض وتحاسد وتفاخر بالأنساب.

2- إن للهجاء الجاهلي موضوعات ومن أهمها :الهجاء الفردي والهجاء القبلي،فالهجاء كان لغاية من شعرهم ومجال التفوق،والسلطان المهيمن على المجتمع الجاهلي،ومن هنّا قد شمل النشاط العربي آنذاك التقريب.

ان الهجاء الشخصي (الفردي)يتلمس العيوب الظاهرة ، ويكشف عن العورات الخافية من الأخلاق والعادات أما الهجاء القبلي بما فيه من تعميم للسوء،ويعد من أخطر الهجاء في ذلك العصر.

3-إن لكل فن من فنون الشعرية صور وأساليب فنية تميزه وللهجاء صور تختلف حسب الموضوع الذي تصاغ فيه.أما أساليبه الفنية تغلب عليه.

4-ان الهجاء المقذع حرّمه السلام ونهى عنه عمر بن خطاب – رضي اللّه عنه- وهو الهجاء الذي يقوم بالمفاضلة بين قبيلتين أو شخصين.وهو من أخطر الهجاء.

5- شعر الهجاء هو شعر لا يخلو من جانب تعليمي أخلاقي ، فعندما يذم الإنسان البخيل،هذا يعني الحث على الكرم والجود.

الإنسـان البخيـل هـذا يعنـي الحـث علـى الشـجاعة الكاذبـة فهـذا الحـث عـن الشـجاعة الصادقة وعدم الخوف.

6-إن هـذا الشـعر يأخـذ مادتـه مـن الواقـع ولا يسـتمدها مـن الخيـال، والواقعيـة فـي الهجاء تقوم على تجارب الحياة ودقة الملاحظة لما يجري فيها من أحداث.

7- إن هـذا الغـرض الشـعري(الهجاء)،كغيره مـن الأغـراض الشـعرية الأخـرى ذا مستوى فنّـي جمـالي رائـع خلاب،وهـذا مـا لحظنـاه فـي قصـيدة الحطيئـة. وهـو أنـه مـن أكثـر الشـعراء توقفـا فـي اختيـار الألفـاظ بحيـث أن فـي أهاجيـه يوجـد رنـين يـوحى بالسـخرية والاسـتقرار ولا يوجـد مصـطلحات فاحشـة فـي هجـاءه، كمـا أنـه متمّـرس فيما يقول لذلك فهو يصيب خصمه.

8- قصـيدة الحطيئـة "لا يـذهب العـرق" والتـي كانـت مبنيـة علـى هجـاء الحطيئـة لزبرقـان بـن بـدر ومحاكمتـه عنـد عمـر بـن الخطـاب – رضـي اللّه عنـه – فكانـت هـذه القصـيدة تحمـل بعـض آثـار المنـافرة فهـو يعتمـد علـى التفضـيل والمقارنـة.فكان الشـاعر يمـدح قـوم ويـذم قـوم يمـدح شـخص ويـذم شـخص فهـذا مـا سـماه عمـر – رضـي الله عنـه – بالإقـذاع أن تفاضـل بـين النـاس حرمـه الإسـلام ونهـى عنـه الخليفـة عمـر بـن الخطـاب – رضـي الله عنـه – فالحطيئـة فـي طبعـه مفـاخرة مكاثر،يمدح قوم إذا أكرموه ويذم قوم إذا تركوه،فانه استخدم الشعر لتكسب به.

9- إن شـعر الحطيئـة كـان بعيـدا عـن التكلـف والصـنعة اللّفظيـة وهـذا مـا رأينـاه فـي تحليلنـا لقصـيدة،وجدنا أن الهجـاء يقـوم علـى التصـوير اللمـاح، ونقـل الحيـاة الواقعية بغير تهذيب بعيدا عن التصوير الفني.

وعليـه نرجـوا مـن اللّه عـز وجـل أن تنـال دراسـتنا هـذه تقـدير أسـاتذتنا الكـرام لأنـه مـا مـن كمـال فـي المجهـول البشـري فالكمـال للّه وحـده سـبحانه وتعـالى الـذي نحمـده ونشـكره علـى توفيقـه فـي انجـاز دراسـتنا هـذه والحمـد للّه الـذي هـدانا لهـذا ومـا كانا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أ. المصادر:

1. القرآن الكريم برواية حفص .
2. ديوان امرؤ القيس، مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيرروت، ط5 ، 2004 .
3. ديوان طرفة بن عبد ، تحقيق : لأعلم الشنثمري ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ، ط2 ،2002 .
4. ديوان كعب بن زهير، علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1996.
5. ديوان عنترة بن شداد، تحقيق : خليل الخوري ، مكتبة الجامعة ، بيروت ، ط4 ، 1993.
6. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : عبار عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط9 ،1996.
7. ديوان الأعشى ، شرح : بطرس البستاني ، دار الصادر ، بيروت ، ط ،1997.
8. ديوان حارث بن حلزة ، تحقيق : اصيل بديع يعقوب ، دار الكتاب ، بيروت ،ط1، 1991.
9. ديوان الخنساء ،دار المعرفة ، بيروت ،ط1 ،2009 .
10. ديوان حسان بن ثابت ، علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ،1997.
11. ديوان عبد الله بن رواحة ، تحقيق :وليد قصاب ، ط ،متوسطة ،بيروت ، ط1981،1.
12. ديوان الحطيئة ، شرح : أبي سعيد السكري ، دار صادر ،بيروت ،ط 1429،2 ه – 2008م
13. ديوان الحطيئة ، ابن السكيت ، دار الفكر العربي ، بيروت ،ط1 ، 2001 .
14. ديوان الحطيئة ، إعداد : محمد عبد الرحيم ، دار الرتب الجامعية ، لبنان ، ط1 ، 2008 .
15. لسان العرب ، لابن منظور ، دار الصادر ، بيروت ،ط 1 ،المجلد 15 ، 1995 م.
16. قاموس المحيط للفيروزيادي ، بيروت ،ط1 .
17. أساس البلاغة ،زمخشري ، ج2 ، دار الكتب القاهرة 1923 م.
18. طبقات الفحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، تحقيق : خليل الخوري ، المكتبة الجامعة ،بيروت ،ط4 ،1993 .
19. نقد الشعر ،قدامة بن جعفر ، تحقيق : عبد المنعم الحقاجي دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1978.
20. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ،ج2 شرح: صلاح الدين الهواري ، دار المكتبة الهلال ، بيروت ،ط1 ،1996 م – 1416 ه.
21. العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط5 ،ج1 ، 1851 .

ب. المراجع :

22. تاريخ الأدب العربي ج1 ، العصر الجاهلي شوقي صنيف ، دار المعرفة ، ط11 ، القاهرة .
23. الأدب في العصر الجاهلي ، مصطفى السيوفي ، دار الدولية ، القاهرة ، ط1 ، 2008.
24. دراسات في الأدب الجاهلي ، عبد العزيز النبوي ، مؤسسة المختارة ، القاهرة ،ط3 ، 2003.
25. شعراء العرب العصر الجاهلي ، يوسف عطا الطريفي ، ط1 ،2006.
26. عبد الرزاق حسين ، في النص الجاهلي قراءة تحليلية ، دار المعالم الثقافية للنشر و التوزيع ، الإحسان ، القاهرة ، ط1 ، 1418 -1998م.
27. الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية ، ط ، جامعة الإسراء الخاصة ، الأردن 2006.
28. الهجاء الجاهلي : صوره و أساليبه الفنية ، عباس بيومي عجلان ، الناشر مؤسسة شباب و التوزيع ، اسكندرية ، 1985 .
29. الهجاء و الهجاءون في الجاهلية ، محمد محمد حسين ، ط3 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1389 ه – 1970م .
30. أروع ما قيل في الهجاء ، يحيى شامي ،ط3 ، دار العزة و الكرامة للكتاب ، ط1 ، 2014م – 1435 ه.
31. أروع ما قيل في الهجاء ، اعداد : اصيل ناصيف ، ط1 ، دار الجيل بيروت ، 1413ه- 1992م .
32. الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، حنا الفاخوري ،ط2 ، دار الجيل بيروت ، 1411 ه – 1991م .
33. البلاغة الواضحة : البيان - المعاني - البديع ، تأليف : علي الجارم ومصطفى أمين ، الناشر الشرعي الدر المصرية السعودية ، للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2005 .
34. البناء العروضي للقصيدة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، 1420 ه - 1999م

فهرس الموضوعات

الإهداء

مقدمة.....أ-ب-ج

❖ **مدخل**

العصر الجاهلي.....2

نشأة الشعر - ما قبل الإسلام - الجاهلي.....3-5

الفنون الشعرية.....6

أغراض الشعر - ما قبل الإسلام - الجاهلي.....7-11

❖ **الفصل الأول : الهجاء في الشعر - ما قبل الإسلام - الجاهلي**

تمهيد.....13

المبحث الأول :

معنى الهجاء ومفهومه في الشعر - ما قبل الاسلام - الجاهلي.....14-15

تعريف اللغوي والاصطلاحي للهجاء.....16

موضوعات الهجاء الجاهلي.....16-22

المبحث الثاني :

صور الهجاء.....23-26

أساليب الهجاء.....27-32

خصائص الهجاء الجاهلي.....33

❖ **الفصل الثاني : دراسة فنية لقصيدة الحطيئة " لا يذهب العرف "**

المبحث الأول

نبذة عن حياة الشاعر الحطيئة.....34-35

نشأة الشاعر الحطيئة.....36-37

إشفاق القبائل و الاشراف من هجاء الحطيئة.....37-38

وفاته.....39

المبحث الثاني :

الهجاء المقذع وعقوبته في الاسلام و أبلغه.....41-40

أروع ما قال الحطيئة في غرض الهجاء.....41- 42

أسلوب الحطيئة في الشعر.....43- 44

المبحث الثالث :

قصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر ومحاكمته عند عمر - رضي الله عنه -.....45 - 49

قصيدة الحطيئة لا يذهب العرف.....50- 51

شرح معنى أبيات القصيدة.....51-52

تحليل فني للقصيدة.....52 -58

خاتمة.....60-62

قائمة المصادر و المراجع.....63-64

فهرس الموضوعات 65- 66